ليـــال

رواية

ليال

رواية

هاجر عبد العزيز

تحرير ومراجعة لغوية: حمدي عبد الرازق

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٣٠٧١٣

تدمك: ٥-٥٩-٦٧٩٨-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: د. بولا وجيه

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما - أمام جنينة مول - مدينة نصر

Alfouad_Publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

ليـال

رواية

هاجر عبد العزيز

الفؤاد للنشـــر والتـــوزيـــع

إهداء

إلى تلك الروح التي وُجدت بسببها ، تلك التي تكونت بداخل جدران رحمها .

إلى أعظم وأقوى سَحَر بالعالم، أحبك أكثر من أي شيء .

إلى رفيقة مشواري، وكتفي الذي أستند إليه، إلى روضة عبد الناصر، شكرًا لكونك أنتِ .

(1)

"لا أحد يختار موعد ميلاده وموعِد رحيله، لا أحد يعلم مُنذ خلقِه فى رحم أمّه، كيف ستكون ملامحه، لون عينيه وشعره، فى أي بلد سيولد، وبأي لغة سينطق لسانه، وبأيِّ اسم سيُسجَّل، وأيِّ لقب سيحمل، من هم أهله وإلى أيّ أُسرة وطبقة اجتماعية سينتمي.. هل سيولد بين أحضان أُسرة بسيطة في بيتٍ صغير؟ أم سيترعرع في بيت كبير من عدّة طوابق؟ هل سيجد أخوة في انتظار قدومه؟ أم سيكون هو المولود الأوّل لوالديه؟ أم سيقضي عمره كله وحيداً بلا أخوة؟ هل سيتربى بين أبويه؟ أم سيتركه أحدهما، سواء رغماً عنه أو باختياره؟

تُرى ماذا كان سيحدُث إذا كان بإمكاننا اختيار إجابات تلك الأسئلة قبل أن نولد، نختار من سنكون وكيف ستسير حياتنا؟ هل سنختار الشقاء أم الراحة؟ الرحيل أم البقاء؟ الخير أم الشر؟

الحقيقة أن سرّ جمال الحياة يكمن فى غموضها، فى عدم معرفتنا ونحنُ نطفة فى رحم الأم ما نحنُ مُقبلون عليه، فى جهلنا بالمُستقبل وما يحمله، فى عدم اختيارنا للظروف التى خُلقنا لها، نعم، نحنُ مَن خُلقنا

للظروف وليس العكس، فقد خلقنا الله ووضعنا فى ظروف بعينها، وهُنا تسنح لنا فُرصة الاختيار، هُنا نُخيَّر بين أمرين: إمّا المواجهة، أو الاستسلام للظروف".

ليال زهران

كان هذا ما كتبته فى مقالى الأسبوعى فى المجلّة التى أعمل بها، تحت عنوان "أشياء غير قابلة للتغيير"، وصلتُ إلى العمل اليوم مُبكرًا جدًا، على غير عادتى، فأنا دائمًا ما أتأخّر، وأدفع ثمن ذلك ببقائى فى المجلّة حتى يأتى المساء؛ تعويضاً لتأخيرى الصباحى.

جلستُ فى مكتبى وطلبتُ قهوتى، نظرت فى الساعة، كانت العاشرة صباحًا، أنا اليوم فى كامل هندامى؛ فلدينا زيارة من ممثل مؤسسة تهتم بقضايا اجتماعية عديدة، وقد تم اختيار المجلّة التى أعمل بها كى نتعاون مع تلك المؤسسة على حملةٍ ما لا أعلم موضوعها بعد، كل ما أعرفه أننا سنجتمع اليوم مع ممثل تلك المؤسسة كى يُطلعنا على الموضوع وكافّة تفاصيله، لا أعلم هل سيتم اختيارى ضمن الفريق الذى سيعمل على تغطية تلك الحملة أم لا؛ فمُعظم زملائى يسبقوننى

سنًّا وخبرةً، لكن أعلم أنه إذا تم اختيارى، سأبذل أقصى جهد لدىّ كى أثبت لهم أن عامل السن لن يضع حاجزًا أمام من يُريد تحقيق ذاته.

سمعتُ صوت سامر مُديرى المُباشر، الذى رغم أن الفرق بيننا يتجاوز عشر سنوات، إلّأ أن هُناك تواصلا بيننا، يفهمنى كثيراً، ويُجيب تساؤلاتى العديدة التى أطرحها عليه باستمرار، قادر هو على إقناعى لا أعلم كيف، فأنا تلك العنيدة التى لم يستطع أحد أن يفهمها، وخاصةً الرجال، وحده سامر من استطاع فكّ شفرتى.

دخل سامر مكتبى، كان يتحدّث فى هاتفه وفى يده فنجان قهوته، جلس على المقعد الذى يُقابلنى دون أن يلتفت إلىّ؛ فتلك المُكالمة أخذت انتباهه كلّه، أنهى مُحادثته، ثُم أدار رأسه لينظُر إلىّ، دُهِش من هيئتى، فكانت تلك المرّة الأولى التى أضع فيها هذا الكم من الماكياج على وجهى، ولم أكن أرتدى تلك الملابس ذات الطابع الرسمى إلّا قليلاً، أخذ رشفة من قهوته ثُم قال مبديًا إعجابه:

ـ ياريت يجيلنا زيارة كل يوم.

ضحكتُ فى خجل، ثُم أضاف قائلًا:

ـ ليال أنا قررت إنّك هتكونى فى الفريق اللى هيشتغل على الحملة الجديدة.

دُهِشتُ من قراره هذا، فلم ينعقد الاجتماع بعد، ولم تأتِ الزيارة

من الأساس، كيف له أن يختارنى قبل مُناقشة أى شيء أو معرفة مدى تناسُب قُدراتى وخبرتى مع تلك الحملة، أضفتُ مُتسائلة:

ـ بس أنا حتى مااعرفش الموضوع اللى هنكتب عنّه.

قاطعنى قائلًا:

ـ أنا عارف الموضوع، وشايفك مُناسبة جداً، انتِ هتبقى أصغر واحدة فى الفريق بس أنسب واحدة تشارك فى موضوع زى ده، هتعرفى ليه بعدين، بس أنا متأكد من اختيارى ليكِ، ومتأكد إنك قدها.. أنا هاقوم عشان وراى شغل قبل ما الاجتماع يبدأ، عايزك تركزى كويس وتستعدى، أنا واثق فى قدراتك.

ذهب وتركنى فى حيرة من أمرى، لا أعلم لِمَ أنا ذات الأربعة والعشرين عاماً أنسب مَن تُشارك فى تقديم وكتابة هذا الموضوع؟ لِمَ أنا بالأخص؟ أثار هذا الأمر فضولى إلى درجة جنونية، وانتابتنى مشاعر

عدِّة فى الوقت ذاته، مزيج من الفرحة بسبب اختيارى والتصميم علىّ، والحيرة بسبب جهلى لِمِ أنا بالأخص، والتوتر والخوف من الفشل، ومن ألّا أُحقق ما ينتظره منّى سامر.

***

أن تستند إلى كتف وأنت تعلم جيدًا أنه إذا ملت برأسك إليه سيكون دائمًا هنا ليحملها، أن يكون هناك إنسان واحد على وجه الأرض مؤمن بك وبقدراتك.

أتت الزيارة، اتجهنا نحو غُرفة الاجتماعات، جلستُ على المقعد المُجاور لسامر؛ لكىّ أستمد منه بعض الهدوء والطمأنينة بعد ما أصابنى من توتر.

بدأ الاجتماع، وبدأ الحديث عن موضوع الحملة..

ـ إحنا مش هنتكلم بس عن الست، إحنا موضوعنا بيشمل الرجل والمرأة معًا.

ـ تمام، هنبدأ فى جمع المعلومات عن الموضوع.

اتضح لى الآن كل شيء، ظهرت الصورة كلها أمامى واضحة جليَّة، وفهمتُ سبب إصرار سامر على كونى جديرة بالمشاركة، فالموضوع عن الرجال والنساء الذين ربوا أبناءهم وبناتهم بمفردهم، إمّا نتيجة للطلاق أو الترمُّل، تحمستُ كثيراً لهذا الموضوع رغم الألم الذى شعرتُ به، اجتاحتنى الذكريات، وتلاحقت علىّ الكلمات التى سأشارك بها فى موضوع مهم مثل هذا، بدأتُ فى تدوين كل النقاط المهمة التى تُطرح فى حماس بالغ، شعر سامر بذلك، كان ينظر إلىّ بين الحين والآخر، ينظر إلى ما أكتبه، ثُم يبتسم ابتسامة انتصار، راهن علىّ، كأنه مُقدم على سباق خيل، وقد أصاب اختيار الجواد الذى سيبذل قصارى جهده ليصل إلى خط النهاية قبل الجميع.

انتهى الاجتماع، وتمّ اختيار الفريق الذى سيشارك فى هذه الحملة، مازلتُ خائفة بعض الشيء؛ فقد فهمتُ أن هُناك من أراد استبعادى لصغر سنّى والشك فى كفاءتى، لكن أصر سامر فوافق الجميع، وهُنا ازداد الحِمل، واشتعلت نار التحدّى بداخلى. عُدتُ إلى مكتبى، بعد نصف ساعة دخل سامر، جلس وقال فى حماس:

ـ عرفتِ ليه اختارتك انتِ بالذات للموضوع ده؟

ـ عرِفت، بس أنا خايفة.

ـ أنا معاكِ وهاساعدك، بس أنا واثق إنّك قد المسئولية، إنتِ حياتك خريطة للموضوع ده يا ليال.

***

عُدتُ إلى البيت بعد يوم طويل ومُرهِق، وجدتُ أمى نائمة، لم أُرِد إيقاذها، فهى قليلًا ما ترتاح، فقد خُلِقت تلك المرأة للشقاء، وكم تمنيت تعويضها سنوات عمرها كله.

أخذتُ حمّاماً ساخنًا، ثُم حادثتُ يُسر، رفيقة الأيام والدروب مُنذ نعومة أظافرنا، جمعنا القدر فى مدرسة واحدة، لتتكوّن صداقتنا، وينشأ بيننا وصال قوى، غير قابل للهدم، واستطعنا أن نكون معاً فى الجامعة أيضًا، وقد أكسبها اسمها صفته، فقد كانت دائمًا يُسرًا لكل صعب مررتُ به.

اقترحتُ عليها أن نذهب لاحتساء القهوة فى المقهى الذى اعتدنا الذهاب إليه، فوافقَت. ارتديتُ بنطالًا وقميصًا فى غاية البساطة، ولم أضع أى شيء على وجهى؛ فقد أُنهِك من ثِقَل الألوان التى حملها طوال

اليوم فى العمل، تركتُ شعرى الأسود الغجرى يهبط فى حُرية ليقف عند مُنتصف ظهرى، فقد أُرهق هو الآخر من رفعه إلى أعلى طوال اليوم.

يختلف مذاق القهوة من حالة إلى أُخرى؛ فمذاق القهوة الصباحية التى نرتشفها بروية؛ كى نشعر بها تتسلل إلينا ببطء وتوقظ خلية تلو الأُخرى، يختلف مذاقها عن تلك التى تُحتسى فى المساء، مع صوت أُم كلثوم. كذلك يختلف مذاق القهوة التى نشربها ونحنُ جالسون بمفردنا، فى صمْت لا يتخلله سوى تنهيدة مشوبة ببعض الحنين، عن تلك التى نحتسيها مع غيرنا، أمّا القهوة التى أحتسيها مع يُسر، فلها مذاق مُميز؛ فهى ممزوجة بالكثير من الحديث، وكم كبير من التفاصيل، ومقدار هائل من الضحك.

جلسنا على المنضدة المُفضّلة لدينا، طلبنا قهوتنا المعتادة، ثُم بدأنا فى رواية تفاصيل يومنا، وبما إن اليوم هو الخميس، أى آخر يوم عمل فى الأسبوع، وبما أننا لم نلتقِ طوال هذا الأسبوع، أدّى ذلك إلى تراكم التفاصيل، وزيادة القصص التى ادّخرناها إلى أن نلتقى.

رويتُ لها ما حدث اليوم حول اختيارى للمشاركة فى موضوع مهم مثل هذا، تحمَّست لحماسى، وحاولت أن تنتزع خوفى قائلة:

ـ إنتِ مُناسبة جدًا يا ليال للمشاركة فى موضوع زى ده، مش لازم تقيسيها بعدد سنين عمرك أو بعدد السنين شغلك، ممكن تقيسى مدى كفاءتك بحكم تجربتك الشخصية مثلًا.

أيّدتُ كلامها، ثُم أضافت قائلة:

ـ وكمان إنتِ بتقولى إن سامر هو اللى رشّحِك، ومصمم عليكِ، يبقى أكيد شايفك مُناسبة.

ـ اه بس ده ما يمنعش إنى أخاف.

ـ تخافى بس ما تترددیش، دى فرصة لازم تنتهزيها، باقول لك إيه، هو الراجل اللى قاعد هناك ده تعرفيه؟ شكله بيبص علينا.

ـ لا ماعرفهوش، ماله يا ست يُسر؟!

ضحكت وقالت:

ـ مافيش يا ستى افتكرتك عارفاه، شكله عريس مناسب كده.

ضحكنا، هدأتُ بعض الشيء، أخذتُ نَفَسًا عميقًا، ثُم أتتنى رسالة قادمة من رامى، صديق الطفولة ورفيق كل مرحلة من مراحل عُمرى،

تناولتُ الهاتف كى أُتفقَد رسالته، وجدّته يتصل، أجبته مُتأسِّفة؛ فقد وعدته أن ألتقى به اليوم، ونسيتُ تماماً، أخبرته بموقعنا، وانتظرتُ قدومه.

وصل رامى بعد نصف ساعة، جلس فى صمتٍ تام بعد أن ألقى علينا التحية، اعتذرتُ له كثيرًا، طلبتُ منه التماس العُذر لذاكرتى، فهو يعلم أننى دائماً ما أنسى، خاصةً بعد يوم شاق بالعمل، لكنّه ظلّ ناظرًا إلى أسفل ولم يُجبنى.

شعرتُ بالأسف الشديد تجاهه، أنا لم أُرزَق بأُخوة، لكنه ويُسرحظيا بتلك المكانة فى قلبى، وأكره فِعل أى شيء يغضبهما منّى، حتى إذا كنتُ لا أقصد ذلك.

قطعت يُسر هذا الصمت، موجهة كلامها لرامى، طالبة منه ألا يصنع مُشكلة من لا شيء، فهو فعل بسيط غير مُتعمّد، نظرتُ له فى حُزن قائلة: "اشتقتُ لك كثيرًا"، رفع رأسه وابتسم ابتسامة بسيطة ولم يُجبنى، أضفتُ مُتسائلة: "ألم تشتق لى؟" ليُجيب مُسرعًا: "أنتِ تعلمين أننى دائم الاشتياق لكِ يا ليال"..

طلبتُ له قهوته كما يُحب أن يحتسيها، فأنا أحفظه عن ظهر قلب، أعلم ما يُحب وما يكره، أعلم كافة تفاصيله، التى يجهر بها للناس، وحتى تلك التى يحفظها سِرًّا، فرحتُ باجتماعنا، فقد مضى وقت طويل لم يجتمع ثُلاثتنا، رويتُ لرامى ما حدث اليوم فى العمل، كانت جلسة مليئة بالحديث والضحكات العفوية، ذكّرتنى بما كُنّا نفعله ونحنُ صغار.

استأذنت يُسر لتُغادر، انزعج رامى، فلم نقضِ وقتًا كافيًا معًا، لكننى أخبرته أننى لن أعود إلى البيت الآن، لمعت عيناه فرحةً بذلك، أخذ رشفة من قهوته، ثُم بدأ الحديث قائلاً:

ـ بس حاجة غريبة إن سامر ده متمسك بيكِ كده..

ـ ليه؟ هو شايف إن أنا مُناسبة بحُكم تجربتى.

ـ مش ممكن يكون شايفك مُناسبة ليه هو شخصيًا.. بيحبك مثلًا؟

أزعجتنى كلماته كثيرًا، سامر ليس إلّا مُجرّد صديق، وأنا له بمثابة أخته الصغرى، أجبته فى امتعاض:

ـ هو مصمم عليَّ عشان واثق فى قدراتى، أكيد لو ما كنتش قد المسئولية مش هيرشحنى لحملة زى دى عشان سبب ماحدش شايفه غيرك.

لاحظ أنه قال شيئًا لم يكن من المفترض قوله، حاول تهدئة الموقف، اعتذر فى هدوء، ثُم عرض علىّ أن نذهب لأى مكان آخر، أو رُبما نخرج لنتنزه معًا، لكننى أخبرته أننى مُجهدة وأريد أن أذهب إلى البيت، لحُسن حظه لم تكن السيارة معى؛ فلم أكن قادرة على القيادة، مما أسعد رامى كثيرًا.

دخلنا السيارة، وقبل أن يدير المحرِّك نظر لى قائلًا:

ـ بقالنا كتير ماسمعناش أغانى مع بعض، ممكن تشغّلى أكتر أُغنية بتحبيها الفترة دى؟

قال ذلك فى حماس طفولى، ثُم أضاف: "أريد أن أعلم ما يُلهمك فى تلك الفترة..". لطالما آمنتُ بلغة الموسيقى، لغة بين البشر غير منطوقة لكن تختصر الكثير من الكلمات، من خلالها تفهم الشخص الذى أمامك، قد تختلف الأذواق وقد تتشابه، لكن تلك اللغة ستظل مُقدسة بين الناس دائمًا وأبدًا.

قُمت بتشغيل أغنية قديمة لمحمد منير، نحبها منذ صِبانا، غنيتُ فى تلقائية مع الأغنية، أغمضتُ عينى ورفعت صوتى، غير مكترثة بوقعه

على آذان رامى، الذى ظل يضحك كثيرًا، ثُم شاركنى هو الآخر فى الغناء.

"لمّا النسيم بيعدى على شعرك حبيبتى

باسمعه بيقول آهات

يا نجمة كل ما ضيها

يلمس حجر

يعلا ويتحول قمر

باكتب حروف اسمك بحبات الندى

على كل أوراق الشجر".

كم هو رائع أن يكون لديك شخص تستطيع أن تكون معه على سجيتك، يراك فى جميع أحوالك ولا يمقتك أبدًا، يُشاركك لحظات الضحك والبُكاء، لستَ مضطرًا أن ترتدى أمامه قناعًا، أن تصطنع وتدّعى ما ليس فيك، يقبلك كما أنت، بلحظات هدوئك وجنونك، وبكافة أحوالك المزاجية.

(2)

"دايما بندعى إن حاجة معينة تحصل، إن أمنية تتحقق، أو إن اللى نفسنا فيه يحصل.. دايمًا بنتمنى حدوث الشيء بس عمرنا ما دعينا بعدم حدوثه..

قليل جدا لما بنفتكر ندعى إن حاجة ماتحصلش، زى إنك تتحمس لحاجة وماتجيش، وإنك تتعشم فى شخص ويخذلك، وإنك تكون متوقع حاجة معينة وماتحصلش، وإنك تحُط طاقتك فى علاقة وتفشل، وإنك تحس إنك مش محبوب بالقدر الكافى من الناس اللى بتحبهم، وإنك تكون ماشى فى الاتجاه الغلط من الأساس".

ليال زهران

استيقظتُ مُبكرًا فى اليوم التالى، يوم الجُمعة، يومى المُفضّل فى الأسبوع كله، اليوم الذى أتفرغ فيه للجلوس مع نفسى والإصغاء إليها جيدًا، والأهم، الكتابة.. جهزت مقالى الأسبوعى، وهنا شعرتُ أن اليوم بالأخص، هُناك كلام أكثر من أى يوم جُمعة مضى، رغبة شديدة بداخلى فى الحديث؛ فقد حرّك موضوع الحملة الكثير من المشاعر بداخلى، ظلّت حبيسة لسنوات، وحان الوقت لتخرُج وتتحرر.

أعددتُ كوبًا كبيرًا من القهوة، ثُم خرجتُ إلى الشُرفة، قررتُ أن أستعِد وأبدأ فى كتابة ما سأُشارك به فى الحملة، أعلم أن كل حرف سأكتبه سيكون مُستمَدًا مما عِشته؛ لذا منحتُ الذكريات فُرصتها لتقودنى.

ها أنا تلك الطفلة ذات الأربع سنوات، ذات الشعر الأسود والبشرة المائلة للسمار، جالسة فى غُرفتى بين ألعابى، أُمشِّط شعر دُميتى بالفرشاة الصغيرة وردية اللون، أكلمها وأعاملها كأنها ابنتى، أردتُ أن أُمشط شعرى أنا أيضًا، لكن أمى كانت تُحذِّرنى من فك شعرى وأنا ألعب؛ كى لا أُفسِد منظره، وتضطر هى إصلاح ما أفسد، لكننى قررتُ أن أُجازف تلك المرّة، ففككتُ ضفيرتى التى صنعتها لى أمى، لينسدل شعرى الأسود فى بساطة، ارتسمت ابتسامة عفوية على وجهى، ثُم بدأت فى تصفيف شعرى كما كنتُ أفعل بشعر دُميتى، لكن كما كانت تقول أمى، ساء منظره، حاولتُ إنقاذ الموقف لكن فشلت، جرّبتُ صنع ضفيرة أُخرى بدل تلك التى فككتها لكن ازداد الأمر سوءًا، خِفت من ردّة فعل أمى عندما ترانى بهذا المنظر، فكّرتُ فى حلولٍ طفولية للغاية، أن أذهب إلى النوم وعندما ترانى فى الصباح أخبرها أننى استيقظتُ

ووجدتنى بهذا المنظر، أو رُبما أُخبرها أن تلك الدُّمية كانت تُصفف شعرى هى الأُخرى كما كنتُ أفعل أنا بها، لكن قطع تفكيرى صوت شِجار أمى وأبى، كعادتهما، لا أعلم لِمَ يحدُث ذلك مِرارًا وتِكرارًا، ولا علم لى أيضًا كيف يظنون أن الأطفال الصِغار لا يستوعبون ما يُقال وما يحدُث؟

تلاشت أمام عينى مُشكلة شعرى الذى أفسدته، وأصبح همّى كلّه أن يهدأ هذا الشجار، حاولتُ أن أتحلى بالهدوء وأتجاهل ما يحدُث، فسيكفان عن الشجار كعادتهما بعد قليل من الوقت، ثُم عُدت إلى اللعب مرّة أُخرى.

مرّ وقتٌ كثيرٌ، والوضع كما هو عليه، خرجتُ من غُرفتى لأجد جدتى لأمى، أخذتنى بين أحضانها ومسحت على شعرى العابث، ثُم أمسكت بيدى جيدًا، وقالت فى حنان: "اذهبى إلى غُرفتك يا صغيرتى الآن" لكن قلبى الحديث فى هذه الدُنيا لم يكن مُطمئنًا لما يحدُث، أدرتُ رأسى ناحية باب البيت، وجدتُ حقائب كثيرة، علمتُ وقتها أنها تخُص أبى، وأنه سيرحل الآن.. ركضتُ مُسرعة نحو غُرفتى، التقتُ الدُّمية التى كنت أُمشِّط شعرها منذ قليل، ثُم هرولتُ مُتجهة إلى تلك الحقائب

المرصوصة، فتحت إحداها ووضعتُ بها الدُّمية، فعندما علمتُ أنها ساعة الرحيل، لم أكن أعلم إذا ما كُنا سنلتقى مُجددًا؛ فأردتُ أن أترك له شيئًا يُذكِّره بوجودى، لكنه أبدًا ما تذكّر.

أفقتُ من شرودى على صوت هاتفى، كانت رسالة قادمة من كاميليا، إحدى صديقاتى من الجامعة، اليوم عيد مولدها وكانت تؤكد على قدومى للحفل ليلًا، أجبتها أننى لن أتأخر عليها، ثُم دخلت أمى الغُرفة، تلك المرأة القوية التى أدين لها بالكثير، بابتسامتها المُشرقة قالت:

ـ صباح الخير، يلا عشان تفطرى يا ليال.

ـ صباح الفل يا حبيبتى.

ـ نازلة النهارده؟

ـ النهارده عيد ميلاد كاميليا بس بافكر ماروحش..

ـ لا يا حبيبتى، روحى واتبسطى.

ـ ما حضرتك عارفة يا ماما هتلاقيها عازمة ناس كتير.

ـ وماله اتعرفى على ناس جديدة، طول عمرك شخصية اجتماعية من وانت طفلة.

اتجهت لتخرج من الغُرفة، جذبتها مُداعبة إياها كى تختار معى ما سأرتديه اليوم، فدائمًا أُطلعها على أدّق تفاصيلى، رأيها يؤخذ ويُعتد به فى كل شيء، لا أخفى عنها شيئًا أبدًا، والجدير بالذكر، أنها دائمًا على حق، كلامها يتحقق، فهى ذات خبرة واسعة، وأنا محظوظة بكونها أمى، وقد تعلمت منها الكثير، هى لى العالم كلّه، وبسببها تم اختيارى لأشارك فى كتابة موضوع الحملة؛ لأننى ابنة تلك المُحاربة التى كانت لى الأم والأب فى الآن ذاته، اختارت لى فُستانًا بسيطًا، أسود اللون، ثُم خرجنا لتناول الإفطار ونحتسى الشاى معًا.

***

كنتُ مُتحمسة جدًّا لحضور الحفل بعد كلمات أمى، لكن اختفى هذا الشعور تمامًا عندما حادثتنى يُسر وأخبرتنى أنها لن تستطيع المجيء؛ فضّلَت قضاء يوم الجُمعة فى البيت لترتاح من أسبوعٍ شاق، ولتستعِد لأسبوع عمل جديد كالعادة. لم أكن جاهزةً بعد، فكّرتُ أن أُحادث كاميليا وأتحجج بأى شيء كى لا أذهب أنا الأُخرى، لكن هُناك شيئًا

بداخلى كان يقودنى إلى الخزانة؛ كى أُخرج الثوب الذى اختارته أمى، ويُخبرنى أن أذهب إلى الحفل.

ارتديت ذلك الثوب الأسود الرقيق الذى يقف عند الرُكبتين، ثُم جلستُ أمام المرآة أُصفف شعرى، رفعته إلى أعلى فى بساطة، ارتديتُ قلادة بسيطة تقف عند الرقبة، وحذاءً عالى الكعب.

كان الحفل مُقامًا فى حديقة الفيلا التى تسكُنها كاميليا، ما إن وصلتُ حتى انتابنى شعور برغبتى فى العودة إلى البيت، أسير فى خُطى مُتباطئة، وأُفكِّر ألف مرّة قبل أن أخطو المزيد من الخُطوات داخل الفيلا، ما إن رأتنى كاميليا حتى سحبتنى من يدى، وأخذت تُقدِّمنى إلى أصدقائها وزُملائها بالعمل، وبعد عدد لا بأس به من الأحاديث السطحية معهم، انسحبتُ منهم وانتقيتُ أبعد منضدة كى أجلس إليها، أردتُ أن أختفى من أمامهم. لم أكن أبدًا ذلك الشخص الذى يُفضِّل الجلوس بمفرده، أو يرغب فى الانعزال عن الناس، ورغم أنها لم تكن المرّة الأولى التى أذهب فيها إلى بيت كاميليا، لكننى كنتُ أشعُر بالغُربة، غُربة تجاه الأشخاص وليس المكان، شعرتُ أننى لا أنتمى إلى هؤلاء البشر، لا يوجد كيمياء بيننا، كنتُ أعلم مُسبقًا أن غياب يُسر سيُبقينى

وحيدة طيلة الحفل، خاصةً أننى لستُ فى حالة تسمح لى بالاندماج معهم، مزاجى الحالى ليس الأفضل، لكننى جئتُ فقط من أجل كاميليا.

طرأت على رأسى فكرة، قررتُ أن أُحادث رامى كى يأتى وينتشلنى من هذا المكان الذى أشعُر فيه بالضياع وعدم الراحة، أجابنى بالموافقة، وبينما أنا جالسة فى انتظاره، اقترب رجل يبدو أنه فى نهاية عشريناته، واثق الخُطا، بشرته سمراء، وعيناه بنيتان، كان منشغلاً بمحادثة أحدهم فى هاتفه، لكن أعلم أنه انتبه لوجودى، كما انتبهت أنا تمامًا إلى نبرة صوته الواثقة التى كادت تخترق أُذنىّ، أخذ يقترب أكثر حتى أصبحتُ أسمع ما يقوله بوضوح، تبين لى أنه يُحادث فتاة، أخبرها أنه لم يعد فى حياته مكان لها، لمشاكلها اللامتناهية، وأعذارها الواهية، وأنه لم يعد يُصدِّقها فى أى شيء تقوله.. لم أكن أبدًا من هؤلاء الذين يستمعون للآخرين خِلسة، لكننى لم أستطع منع نفسى من الإصغاء لما يقوله، انتابنى شعور بالرغبة فى معرفة المزيد، وددتُ أن أعرف سبب كرهه إلى تلك الفتاة لهذه الدرجة وأخذتُ أتساءل، تُرى ماذا فعلَت به وبحياته كى يبغض الحديث إليها لهذا الحد؟

انهى المكالمة دون أن يتبين لى المزيد من التفاصيل، نظر لى فأدرتُ رأسى مُسرعة؛ كى لا يُلاحظ مُراقبتى له، ابتسم وقال فى هدوء مُعتذرًا عن صوته العالى:

ـ أنا آسف على الإزعاج ده، ضايقتِك؟

ـ لا أبدًا..

ارتبكت ولم أعرف بماذا أضيف من كلمات كى لا يلقى اعتذاره فى وجهى ويمضى، وتمُر الأيام دون أن أعرف قصته تلك التى أثارت فضولى، بل أننى لن أعلم اسمه حتى..

تنهد ثُم أضاف قائلًا:

ـ معتز مختار، كُنت مع كاميليا فى شغلها القديم.

ـ ليال زهران، صاحبة كاميليا من أيام الجامعة.

ـ قاعدة بعيد لوحدِك ليه؟

ـ مافيش بس تعِبت شوية..

ـ مالك؟

ـ دايخة شوية بس.

انتبهتُ إلى هاتفى لأجد أن رامى يُحاول الاتصال بى مُنذ أكثر من رُبع ساعة ولم أجبه، كنتُ أتابع وقتها محادثة معتز مع تلك الفتاة، جذبتُ حقيبتى وقفزتُ من مقعدى مُسرعة، قُلت له فى تلعثُم:

ـ أنا آسفة جدًا، لازم أمشى حالًا.

ـ هاشوفك تانى..

ـ أكيد.

ثُم ركضتُ إلى خارج الفيلا لأجد رامى يقف فى انتظارى وعلى وجهه علامات الضيق، أخبرته أننى لم انتبه إلى الهاتف بسبب صوت الموسيقى، تقبّل اعتذارى على مضض، ثُم اتّجهنا نحو السيارة.

حاول رامى فتح الكثير من المواضيع، سألنى كيف كان الحفل، أجبته إجابات قصيرة، حاول الحديث فى أشياء أُخرى، لكننى أخبرته أننى مُرهقة وغير قادرة على الكلام، ظللتُ أُفكّر طوال الطريق فيما حدث، إلى أن وصلتُ إلى البيت، نظر لى رامى فى استغراب، سألته عن سبب تلك النظرة فأجابنى قائلًا:

ـ أول مرّة ماتبقيش متحمسة تشغّلى الأغانى اللى بتحبيها، وأول مرّة تقعدى ساكتة طول الطريق، انتِ كويسة؟

ـ مُرهقة شوية بس، تصبح على خير.

خرجت من السيارة واتجهت إلى البيت، وتركت رامى فى حيرته من أمرى، أخذت أتساءل، هل لو كان مَن يجلس بجانبى فى السيارة معتز وليس رامى، أكنتُ سأظل ممتنعة عن الحديث طوال الطريق؟

تختلف رغبتنا فى الحديث من شخص إلى آخر، يقودنا الشغف الذى يقل مع البعض ويزداد مع غيرهم، فمع أحدهم نكتفى ببعض الكلمات، نظل نبحث عن شئ مشترك كى نتحدث عنه ولكن لا نجد، ومع آخر نختلق من كل اختلاف بيننا شيئًا مشتركًا يجمعنا، نتجاذب أطراف أحاديث عميقة، وأُخرى سطحية تافهة، نتبادل الآراء، ثُم تتوالى الضحكات، نود لو نظل نتحدّث طوال الليل، وإلى شروق شمس الغد ورُبما إلى الأبد.

*****

(3)

استيقظتُ فى ساعة مُبكرة أيضًا اليوم، لستُ مُعتادة أبدًا على الاستيقاظ مُبكِّرًا فى أيام الإجازة، تفقدتُ هاتفى لأجد أن معتز طلب إضافتى على الـ"فيسبوك"، ترددتُ قبل أن أقبل، أردتُ أن أسأل كاميليا عنه أولًا، ثُم تراجعت وقررتُ ألّا أعطى الأمر أكبر من حجمه، قبلتُ طلبه ثُم اتجهت لأخذ حمامى الساخن وإعداد قهوتى الصباحية.

خرجتُ إلى الشرفة، استعدادًا لكتابة المزيد مما سأشارك به فى الحملة.

"عندما يُصبح القريب غريبًا، الجسد ذاته والملامح كما هى لم تتغير، ولكن الفارق أنك أصبحت تراه بعين غير التى لطالما رأيته بها، تدركه حواسك بصورة مُختلفة.

مرّت شهور لم أكن أرى فيها أبى بعد الطلاق وتركه بيتنا، إلى أن استيقظتُ فى يوم وأخبرتنى أمى أننى سأراه اليوم، تحمستُ لرؤيته، استرجعت فى ذاكرتى كل القصص والحكايات التى ادّخرتها كى أُخبره

بها عندما أراه، لم أكن أستوعب وقتها فكرة عدم وجود أمى فى هذا اللقاء، ولكن كنت أعلم أنها تمرُ بمرحلة ليست بيسيرة.

أخذنى جدى لأمى إلى هذا اللقاء، وصلنا المكان المُحدد للقائنا، ازدادت دقّات قلبى، رأيتُ أبى قادمًا، رأيت وجهًا غريبًا عنّى، وكلما اقترب واتضحت ملامحه ازدادت غُربته، دقّات قلبى التى كانت تنبض شوقًا أصبحت تنبض خوفًا، ارتجفت يدى الصغيرة لتحتضنها يد جدى الذى طلب منى الجلوس إلى جوار أبى، فعلتُ ما طلب منّى ولكن تركت بيننا مسافة، كأى غريب لا أعرفه، لم أكن أعرف سِر هذا التغير المُفاجئ الذى أصابنى، ولكن فهمتُ سبب هذا الشعور عندما رأيتُ خاتم زواج فى يد أبى اليُسرى، تزوج خلال أشهُر قليلة، تزوج ونسى أن له ابنة تحتاج إليه، هُنا انقلبت كل الموازين، وتغيرت كل الثوابت فى أعماقى، أنا ذات الخمس سنوات، تحطمت صورة هذا البطل الخارق الذى سيفعل المستحيل من أجلى، هذا المُكلَّف بأمر من الله أن يرعانى، وأن يكون سندًا وظهرًا.

كان لقاءً باردًا مليئًا بخيبات الأمل، ابتلعتُ كل القصص التى وددتُ لو أخبرته بها، وابتلعتُ الغصّة، وأدركت جيدًا أن هُناك أشياء

لن تعود كما كانت، مهما رغبنا نحنُ عودتها، وأن هُناك أشخاصًا رغم وجودهم على وجه الأرض، لا يوجد لهم حياه فى قلوبنا".

سقطت دمعة من عينى فابتلّت الورقة، دقائق وجفّت ولكن تركت أثرًا، أثر بُكاء عين رأت الكثير فتألمت، عين كانت شاهدة على مواقف تُنهك الروح وتُهلك البدن، عين فاضت بالدمع كلما تذكّرت أباها، وكلما كتبت يدى اسمى المنسوب إليه، يُحكى أن الأب أمان لابنته، أما أنا فتُمثل أحرف اسمه لى الخوف والهجر.

التقتُ هاتفى لأُصاب بخيبة أمل، أعلمُ جيدًا أنه ليس من المفترض أن أصاب بهذا الشعور، لكن رغمًا عنّى كنتُ مُنتظرة أن يُحادثنى معتز لكنه لم يفعل، تداركتُ الموقف وغضبت كثيرًا لتلك التوقعات المُبكرة السابقة لموعدها، أكره أن يُسبب لى أحدهم تقلُبات مزاجية، أن يتحكم -دون أن يشعُر هو ودون أن أسمح أنا- فى حالتى، ألقيت بالهاتف بعيدًا وعزمتُ على تجاهل الأمر كله، وكأننى لم ألتقِ به ليلة أمس، ليقرع صوت الهاتف بنغمة تُشير بأننى تلقيتُ رسالة على "الفيسبوك"، نسيت كل ما قُلته للتو وهرعتُ لالتقاط الهاتف، لأجد الرسالة المرجوة، إنه هو، معتز.. بدأ حديثه قائلًا:

ـ أتمنى إنك تكونى أحسن دلوقتى..

ـ أحسن؟!

ـ مش كُنتِ تعبانة امبارح فى عيد الميلاد؟

ـ أه.. أنا الحمد لله.. شكرًا.

هُنا حدث ما أخشاه، قرأ الرسالة وصمت، لأصاب بالإحباط مرّة أُخرى، وأغضب من نفسى مُجددًا، من هذا الذى أصبح يُقاس على أفعاله مزاجيتى؟

تركتُ الهاتف مرّة أُخرى عازمة على عدم انتظار منه رسالة أُخرى، مُتمنية أن تضيء شاشة الهاتف برسالته.

***

"لنا موعد مع كل ما تمنيناه، لنا لقاء مع هذا الشخص الذى لطالما رسمناهُ فى مُخيلتنا، تلك الروح اللينة التى نعود إليها فى نهاية اليوم بعد تعب ومشقة كى تحتوينا، لنا حكايات لم نعشها بعد، وكلمات لم نقُلها حتى الآن، لنا لحظة شعور بالرضا والاطمئنان، لن يبقى الحال كما هو

الآن، سيزول كل هم ويتبدد كل حُزن، لنا حق المُحاولة مرّة أُخرى، لنا فُرصة ثانية وثالثة إن أردنا، لنا فرحة خُلِقت من أجلنا، لم يحن موعدها بعد، لكنها حتمًا آتية".

ليال زهران

انتهيتُ من كتابة مقالى الأسبوعى، أرسلته لسامر كى يُراجعه قبل النشر، ثُم انتبهتُ إلى أن الساعة الآن السادسة، وأن يُسر حتمًا فى طريقها إلى المقهى الذى نلتقى فيه دائمًا، لممتُ أغراضى واتجهتُ إلى المصعد، ظهر سامر أمامى فجأة، اعتلت وجهه ابتسامة كبيرة وقال:

ـ غريبة إنك قاعدة كل ده مروحتيش، والأغرب المقال الأسبوعى بتاعك، أخيرًا شوية تفاؤل يا ليال، الناس جالها اكتئاب من مقالاتك.

ضحكتُ، ثُم أردفتُ قائلة:

ـ هى مش بتتقاس كده، الناس بتميل للكلام الصادق، سواء كئيب أو لأ، فيه حُزن أو فرح، مش مهم، المهم إنه يكون حقيقى، وأنا دايمًا بكتب مقالاتى من قلبى، بحب أكون حاسّة بكل حرف بكتبه، ومصدقاه، ساعتها بس هيأثّر فى الناس

ـ غريبة إنتِ يا ليال، ساعات بحس إنّك أكبر بكتير من سنك الحقيقى، أدركتى حاجات ناس أكبر منك بسنين كتير عمرهم ما عرفوها

مُحادثاتى مع سامر دائمًا قادرة على شحنى بالطاقة لإعطاء المزيد فى عملى، فبعيدًا عن كوننا أصدقاء، هو أيضًا مثال للمدير الناجح القادر على إخراج أحسن إنتاج من العاملين معه، مميزة هى علاقتنا، وأعلم أنه يشعر أن هُناك تغييرَ شيء ما يُشغلنى، فرغمًا عنى لم أستطع التوقف عن التفكير فى أمر معتز، ولكن سامر لا يسألنى عن أشياء لم أقُم بطرحها عليه، دائمًا يحترم خصوصيتى، وينتظر أن أُحادثه أنا أولًأ فى الأمر.

وصلتُ قبل أن تأتى يُسر، جلستُ إلى منضدتى المُفضلة، وقبل أن أطلب من النادل قهوتى التى كنتُ فى أشد الحاجة إليها أضاء هاتفى حاملًا رسالة قادمة من معتز، سائلًا عن حالى الآن، قرأت الرسالة ولم أرد كما فعل هو، وبعد خمس دقائق أرسل: "أعتذر، فقد انشغلتُ اليومين السابقين فى العمل ولم أستطع مُحادثتِكِ"، أعرف جيدًا هذا الأسلوب، أحفظ تلك الطريقة عن ظهر قلب، طريقة "سوف أفعل ما أريد، وسأحادثكِ وقت ما أحب، وعليكِ الإجابة متى أريد أنا"، صمتتُ ولم أجبه، أغلقت شاشة الهاتف، لحظات ورن الهاتف، كان هو،

مُحادثة صوتية عبر الفيسبوك، انتظرتُ لحظات مُحاولة تهدئة ضربات قلبى، ثُم أجبته بصوتٍ يرتجف:

ـ ألو.

ليرُد بهدوء وثقة:

ـ واضح على صوتك إنّك أحسن دلوقتى.

ـ اه الحمد لله.

ـ شكلك مشغولة تحبى أكلمك وقت تانى؟

ـ لا أنا قاعدة مستنية يُسر صاحبتى فى الكافيه.

ـ لو مايضايقكيش ممكن أجى أسلّم عليكِ؟

ـ لا.. أه..

ـ لا؟

ـ لا مش هيضايقنى.

ـ تمام فين المكان اللى انتِ قاعده فيه؟

ـ هابعتلك اللوكيشن.

أغلقنا وأنا غير راضية بالمرّة عن كيف أبدو؛ فمازلتُ أرتدى زى العمل، فلم أعد للبيت بعد العمل كى أرتدى شيئًا آخر، دخلتُ دورة المياه مُحاولة إصلاح ما أفسده اليوم، وضعتُ القليل من أحمر الشفاه، وكُحل، وبضع زخّات من العطر، وعندما خرجتُ كانت يُسر قد أتت أخيرًا..

ـ معتز هييجى يقعد شوية.

ـ معتز مين؟

ـ اللى حكيت لك عنه لحقتِ تنسيه؟

ـ أه.. هييجى ليه بقى؟

قالتها وكان معتز واقفًا أمامنا، يبتسم نصف ابتسامة، وقال مُداعبًا يُسرًا:

ـ مش عايزانى آجى؟ ممكن أمشى على فكرة..

ابتسمت يُسر ابتسامة صفراء ثُم سحبت المقعد المُجاور لى وجلست، وتظاهرت أنها تختار شيئًا تحتسيه من قائمة المشروبات، رغم

أننى أعلم أنها ستطلب قهوتها المُعتادة فى النهاية، حاولتُ التشويش على ما حدث للتو، وقُمت بتقديمهما إلى بعضهما البعض، فى العادة عندما يلتقى أحد أعرفه مع أحدٍ آخر من أصدقائى ولا يعرف أحد منهم الآخر، أبحث عن شيء معين قد يجمع بينهما، مثل مجال العمل، أصدقاء مشتركة بينهما، حبهما لمكان ما، أو لشيء ما كالقراءة مثلًا، أو هواية ما ككرة القدم، ولكن لم أجد شيئًا مشتركا بين يُسر ومعتز بتاتًا، حتى كُرة القدم التى تعشقها يُسر، تُشجع هى فريق، ويُشجع هو الفريق المُنافس.

كسر معتز هذا الصمت، بدأ حديثه بالكلام عن عمله الذى يعتبره أهم شيء فى حياته، لم يذكر أهله فى حديثه إطلاقًا، ظل يتحدث عن رحلاته وسفره داخل وخارج مصر، عن مغامراته وإنجازاته، بدا فخورًا بحاله بعض الشيء، أو رُبما معجب هو بحاله كثيرًا، شديد الثقة فى نفسه، يختار كلماته بمنتهى الدقة، ويعلم جيدًا ماذا ومتى يقوله.

اقتحم رامى جلستنا، نظر لمعتز فى استنكار، ثُم وجه لى الحديث بحِدّة قائلًا:

ـ كلمتك.

ـ آسفة ماخدتش بالى.

استقبل الرد بالمزيد من الحنق، ثُم نظر إلى معتز وتفحصه جيدًا، تنحنحتُ ثُم قدمتهما إلى بعضهما، ابتسم معتز ابتسامته الواثقة المعتادة، ثُم وقف قائلًا:

ـ أنا لازم أمشى، عندى ميعاد متأخر عليه، هابقى أكلمك يا ليال، مع السلامة.

ثُم غادر وعين رامى تُصاحبه إلى أن اختفى.

قالت يُسر باقتضاب:

ـ دمه تقيل قوى بجد!

ليُعقب رامى على كلامها وعيناه تكادان تحترقان من الغضب:

ـ هو مين ده أصلًا؟!

***

انتظرتُ أن يُحادثنى معتز كما قال، لكنه لم يفعل، ظللتُ مُنتظرة الليلة بأكملها، رُبما كان مُتعبًا فأخذ النوم، لكنه لم يُحادثنى فى اليوم التالى

أيضًا، أهذا هو أسلوبه مع الجميع، هل ينسى كثيرًا؟ أم أنه يفعل ذلك مُتعمدًا؟ ثُم ماذا فعلتُ أنا له كى يتعمد تجاهلى؟ هل ضايقته طريقة رامى الذى مازال غاضبًا منى بسبب دخول معتز فى حياتى؟ ولكن لا، أنا لم أفعل شيئًا لمعتز، ولرامى أيضًا، أردتُ ألّا أُفكر كثيرًا، أخذتُ قلمى واتجهت إلى الشرفة كى أغوص فى الكتابة وأنسى كل ما يحدث.

"فى الصف الأول الابتدائى، بينما ألهو وألعب مع أصدقائى وزملائى فى المدرسة، تدخل مُشرفة الدور، وتُنادى بصوتٍ عالٍ أسكت الجميع:

ـ ليال محمد زهران فين؟

لتتحول النظرات كلها صوبى، الجميع يُحدق فى وجهى، ولا أحد يفهم شيئًا، أخذتنى المشرفة من يدى، متجهين إلى مكتب الناظرة، نظرت لى فى شفقة قائلة:

ـ بابا مستنيكى يا ليال.

كانت تلك الجملة كفيلة كى يقفز الرُعب فى قلبى، ارتجفتُ وتلعثمتُ قائلة:

ـ أنا عايزة ماما، ممكن تكلميها؟

ـ وليه نكلمها، ماتخافيش.

ـ بس أنا مش عايزة أروح مع بابا، كلمى ماما عشان خاطرى.

ـ حبيبتى ماتخافيش، مش هتروحى معاه، هو بس هيشوفك.

ـ مش عايزة.

ثُم بدأت الدموع تنهال على وجنتىَّ، ضمتنى المُشرفة وقالت فى حنان:

ـ أنا معاكِ حبيبتى، ماتخافيش.

ذهبنا إلى مكتب النظرة، لأعلم أن أبى غادر، حمدًا لله، تنهدتُ تنهيدة اطمئنان وراحة، ثُم أعطتنى حقيبة بها بعض الهدايا التى تركها لى أبى.. عُدت إلى الفصل مرّة أُخرى، ومع أول خطوة أخطوها داخل الفصل، انهالت علىّ الأسئلة: "ماذا حدث؟ لما ذهبتِ إلى الناظرة؟ هل فعلتِ شيئًا؟" وما إن رأوا حقيبة الهدايا حتى أصابتهم الدهشة جميعًا، سألونى عنها، ابتلعتُ الغصة وقُلت أنه أبى، ثُم استقبلتُ تعليقات كثيرة مثل:

ـ الله يا ليال.

ـ يابختك.

ـ نفسى تجي لى هدايا زيك كده.

ـ إيه الهدايا الجميلة دى.

ـ ياريت بابا يجيب لى حاجات زيك كده.

ليتهم يعلمون أن كل هذا ليس حقيقيًّا، هُم لا يعلمون شيئًا، لا يعلمون أنى أعود إلى البيت ولا أجده، بل لا أجده فى حياتى كلها، هو مُسجل فى كشف الغياب، ولن أرى اسمه فى قائمة الحضور مرّة أُخرى.

أتت صديقتى المُقرّبة لتسألنى:

ـ انتِ بتخافى من باباكِ؟

ـ ليه بتقولى كده؟

ـ شكلك خايفة، ومعيطة.

ـ أنا باخاف إنه ياخدنى من ماما، وماعرفش أرجعلها تانى..

(4)

أعلم أنه ما من أحد على وجه الأرض إلا ويواجه الكثير فى حياته، لكن أتيقن دائمًا بأن لكل منّا طاقة للتحمل، لا يعلمها إلا الله، وحده يُعطينا من الابتلاءات ويمدنا بالقوة التى تناسب تحملها، أؤمن أنه مهما كثُرت الابتلاءات، ستتسع القوة لتبتلعها، ومهما بلغت الأمور تعقيدًا، سيغلبها اليقين بالله.

حادثنى معتز بعد ثلاثة أيام منذ يوم لقائنا، كانت حجته -كما توقعت- العمل ومواعيده التى تجعله ينسى كل شيء آخر يدور فى حياته، أراد لقائى اليوم، لكننى رفضتُ بدورى، أنا لستُ مُتفرغة وأنتظر أن يُحادثنى وقتما يشاء، ضغطتُ على قلبى وقُمتُ بتأجيل الموعِد إلى الغد.

حادثت رامى وطلبت منه أن نذهب لتناول الطعام معًا، أجابنى قائلًا:

ـ يلا بينا‌ا يا ليال، تحبى تاكلى فين؟

كم هو جميل وطيب القلب، وبابه مفتوح لى دائمًا، حتى ولو كل الدنيا أغلقت أبوابها فى وجهى..

ـ بص أنا جعانة جدًا، وكمان مش عايزة أنزل مع معتز.

قاطعنى قائلاً:

ـ لأ ثانية واحدة، يعنى انتِ نازلة معاى لمجرد إنى بديل لمعتز؟

ـ لا طبعا يا رامى ازاى تفكر كده؟!

ـ اقفلى يا ليال، أنا مكانى اتاخد، اتبدّلت.

***

انظر إلى العين التى تعطيك الشعور بالتفرّد، وأطِل النظَر حتى تشبع.

تتميز يُسر بشخصية قوية ولينة فى آن واحد، يراها الجميع صلبة وعنيدة، ولا أحد يُدرك هذا الجزء اللين بقلبها إلّا من تختاره هى ليعبر حدود قلبها.

وهُناك صفة أُخرى هامّة أيضًا تُمِّز يُسرا، أنه من الممكن أن يكون هُناك من يعشقها، لكنها لا تنتبه لهذا أبدًا، مهما حاول هذا الشخص لفت انتباهها، تظن أنه مُجرّد شخص يعاملها بلطف ووِد، ولا تعتقد أنه يحمل لها أى نوع آخر من الحُب، أمّا هو فيعتقد، بل يتيقن أنها صعبة المنال، ولا تُبالى بأحد.

تعشق يُسر "عمرو دياب"، تُحفظ كل أغانيه عن ظهر قلب، أسعد لحظات حياتها وهى تقف بين الجمهور وتنتظر صعوده على المسرح، وعندما يتعالى صوت الموسيقى مُعلنة أنه لحظات وستراه أمامها يُغنّى، تعلو معها دقات قلبها، وتقفز كالأطفال، إلى أن تراه، تنسى وجود أناس آخرين حولها رغم اكتظاظ الحفلة بالبشر، وتُغنّى معه كلمات أغنيته الجديدة التى حفظتها فور نزولها.

تلك المعلومة -حبها لعمرو دياب- من السهل أن يعرفها أى أحد من دائرة معارفها، لكن القليلين من يعرفون أنها لديها سلسلة فضية مُكونة من حرفين، "ع" و"د".. وشخصان أو ثلاثة على الأكثر يعلمون أن تلك السلسلة فُقِدَت منذ ما يقرب من عام، وأن يُسر حزينة جدًأ لفقدانها.

وصلت يُسر إلى عملها اليوم مُبكِرًا، لتجد على مكتبها عُلبة صغيرة، ولم يكن هناك أحد فى المكتب سواها هى وريم رفيقتها التى تعمل معها فى نفس القسم، وسيف الذى يعمل فى قسم المحاسبة، فتحت العلبة لتجد بها سلسلة فضية مكونة من حرفى "ع" و"د" مُطابقة لتلك التى

فقدتها، سألت ريم إذا كانت هى من ابتاعت لها السلسلة لكن أجابتها بالنفى..

ترددت يُسر، وقفت لحظات تُفكِّر، أيُعقل أن يكون سيف هو من ابتاعها؟ لكنه التحق للعمل بالشركة منذ شهرين فقط، بعد فقدانها للسلسلة القديمة، فكيف علم بوجودها إذًا؟

***

تلك المرّة الأولى التى يدعونى فيها معتز على العشاء، اتقفنا أن نلتقى فى تمام الثامنة أمام أحد مطاعم الزمالك الشهيرة، قُمتُ بارتداء ثوب بسيط بنى اللون يقف عند الركبتين، وحذاء من نفس اللون له كعب ليس بطويل، ورفعت شعرى لأعلى لأظهر قرطين من اللون الذهبى، ولمسات بسيطة من الماكياج.

وصلتُ لأجده فى انتظارى، أطفأ سيجارته ونظر لى فى نصف ابتسامة وقال:

ـ شكلك حلو فى الفُستان.. جدًّا.

ابتسمت فى خجل ثُم جلست، نظر فى عينى مُباشرة، ثُم قال:

ـ احكيلى عنّك يا ليال.

ـ عايز تعرف إيه؟

ـ كل حاجة..

هُنا رن هاتفى، كان رامى المُتَّصل، قرأ معتز اسمه ثُم قال فى ضيق:

ـ ده رامى اللى عرفتينى عليه المرّة اللى فاتت؟

ـ أيوه، احنا صُحاب من واحنا صغيرين.

ـ بس تفتكرى هو شايفك كده؟ مُجرّد واحدة صاحبته؟

ـ أكيد.. إحنا أكتر من إخوات.

عقد حاجبيه وأشعل سيجارة ثُم قال بابتسامة صفراء:

ـ ماظُنِّش.

شعرتُ بالضيق لما يقوله، لا أستوعب أبدًا فكرة أن يكون هناك شيء آخر بينى وبين رامى سوى الصداقة، ولن أتحمّل فكرة أن يكون هناك نوع آخر من الحب فى قلب رامى تجاهى، رأيتُ فى عين معتز شعورًا بالغيرة، رغم كبريائه لم يستطع إخفاء هذا الشعور العفوى،

تعمدتُ تغيير الموضوع، تجرّأت وسألته عن تلك التى كان يُحادثها فى الهاتف يوم التقينا عند كاميليا، صمت لبضع ثوانٍ ثم قال مُحاولًا التظاهر بالصلابة:

ـ دى كانت خطيبتى.. بس ماحصلش نصيب.

اقتحمت الأسئلة رأسى، لم أرد طرحها عليه؛ حتى لا يشعر أننى مُهتمة لمعرفة المزيد، قطع أفكارى قائلًا:

ـ عُمرى ما كنت أنانى معاها، دايمًا كنت حاططها فى مكانة لوحدها بعيدة عن كل الناس، كانت أهم حاجة فى حياتى، بس عُمرى ما حسّيت إنّى مهم عندها، كنت دايمًا خارج خططها، ماكنتش بتاخد رأيى، كنت مجرّد واحد بيكمل صورة حياتها اللى هى راسماها فى خيالها، وهى مقدّرتش اللى كنت باعمله عشانها إلّا لمّا بطلت أعمله، واستوعبت ده أكتر لما سيبتها.. سيبتها وهى لسّة جواى، لسّة باحبها، عانيت كتير عشان أنسى، بس كنت عارف إن ده الصح.

اشتعلت الغيرة بداخلى، خشيت أن تكون بداخله حتى الآن، أن يكون حُب كامن فى قلبه لكن عقله يرفض الاعتراف به، أن أكون مُجرّد

وسيلة لنسيان هذا الحُب الذى أكل روحه وسكن قلبه رغمًا عنه ورفض الخروج منه.

ابتلعت الغصّة ثُم قُلت:

ـ المهم إنّك تكون فعلًا تخطيت المرحلة دى من حياتك، ساعات بنضحك على نفسنا ونفتكر إننا نسينا، لكن ده مابيكونش حقيقى، لازم تبقى صادق مع نفسك ومتأكد من مشاعرك تجاهها، إنها فعلًا مابقيتش موجودة.

قال فى كبرياء:

ـ أنا نسيتها، وهى هتتخطب لحد تانى، مابقيناش لبعض خلاص.

تمنيت أن يكون ما أسمعه منه هو صوت العقل والقلب والروح معًا، صوت صادق لا يشوبه الكبرياء الأعمى.

***

ما يجذبنا تجاه البشر دائمًا هو التفرُّد، الشعور بأن هذا الشخص مُختلف، وأن تلك الشخصية فريدة من نوعها، وأن تلك التركيبة لن تتكرر، وأننا محظوظون للغاية لالتقائنا بمثل هذا الإنسان، الذى رُبما

نرسم فى خيالنا حياة معه، حياة بعيدة كل البُعد عن وضعنا الحالى، نرى أنه رُبما نكون أصدقاء، ثُم تتطور الصداقة إلى حُب، ويأخذنا الحُب إلى الخُطبة ثُم الزواج، وفى الواقع نحنُ لم نخرج من دائرة الصداقة بعد، لكن هل سيتحقق ما تخيلناه؟ وكم مرّة ظننا أن هذا الشخص مُختلف ثُم اتضح لنا أنه لا يفترق شيئًا عمّن قبله، بل رُبما يكون أسوأ، ولكننا فى النهاية لن نعلم بدون خوض التجربة، ولكن أتمنى ألّا ننسى وضع حزام الأمان قبل أن ننطلق؛ فقد خُذلنا بما يكفى.

يوم بعد يوم قويَت علاقتى بمعتز، تحادثنا كثيرًا، وأصبحنا نعلم الكثير عن بعضنا البعض، لكننى مازلتُ لا أفهمه، كأننى أقرأ كتابًا بلا مقدمة، بل بلا عنوان من الأساس كى يصف ما بداخله، مازال يأتى متى يشاء، ويذهب متى يشاء، يظهر فجأة وبدون استئذان، ثُم يختفى بعد اعتيادى لوجوده دون سابق إنذار، الأمر الذى يزيد رغبتى فى فك شفرته، ومعرفة ما بداخله.

أحيانًا أشعر أننى مُهمة فى حياته، أنه يريد أن يرانى ويُحادثنى، أنه يجعلنى من أولوياته، وأحيانًا أُخرى أشعُر أننى لستُ بتلك الأهمية التى اعتقدتها، أحيانًا أشعر أننى مميزة فى حياته، وأحيانًا أخرى مجرّد صديقة.

كان يُقدمنى إلى أصدقائه قائلًا إننى من أقرب الأشخاص إلى قلبه، وإننى قادرة على فهمه وفهم احتياجاته، وفى حقيقة الأمر لم أكن أفهم شيئًا عنه، وعن شخصيته الغامضة المعقدة.

***

"قوتنا وثقتنا فى نفسنا ماينفعش يكونوا مُستمدّين من شخص ما، سواء صديق أو حبيب؛ لأن الشخص ده لو قرر فجأة يقلب عليك الترابيزة باللى عليها - وده بيحصل كتير- ثقتك فى نفسك هتتهز، ودى أبشع حاجة ممكن إنسان يوصلها".

ليال زهران

اقترب موعد اليوم المنتظر لمناقشة أفكار الحملة وعرضها على كبار الصحفيين والإعلاميين، مازلتُ بحاجة إلى جمع قدر أكبر من الأفكار والمواقف التى سأشارك بها، ذهبتُ إلى مقهى هادئ، دائمًا ما ألجأ إليه عندما أكون بحاجة إلى الانفراد بحالى والانغماس فى الكتابة.

طلبتُ قهوتى التى تُعَد من أهم الأشياء التى تساعدنى على الكتابة، بل إنها تساعدنى على الحياه، تلك الساحرة القادرة على تغيير حالتى

المزاجية، تجرى فى عروقى وتعرف طريقها جيدًا إلى قلبى، تدخل عليه كدخول زائر محبب لدى مسجون خلف قضبان حديدية ليمنحه شعورًا بالسكينة فى وحشته، شعورًا لطالما اشتاق إليه.

"أسمع عن علاقة الابنة بأبيها، كم هى علاقة رائعة، كم هو مطمئن أن يكون هناك من يعيش من أجلى، من تغيرت حياته بمجرد وجودى فى الحياه، من تحول من شاب يعيش بحثًا عن سعادته إلى رجل مسئول هدفه إسعادى، رجل أذهب إليه فى كل مرّة أخفق فيها كى أستند إليه، رجل يرانى أحسن ابنة، وأجمل فتاة خُلِقت، لكن لم يكن لى نصيب من تلك العلاقة المميزة سوى السماع عنها فقط، ورؤيتها من مكان بعيد.

فى عامى الأول بالجامعة، تعرضت للخذلان للمرّة الأولى بسبب علاقة حب لم تكتمل، كنتُ فى حالة انهيار، أحتاج إلى من أستمد منه الأمان، إلى من يُذكّرنى أننى أستحق الحب وأننى فقط لم أوفَّق فى اختيارى، للمرّة الأولى شعرتُ برغبة شديدة فى محادثة أبى الذى لم أره منذ شهور عديدة، وأحيانًا تمر سنوات دون أن نلتقى، يكتفى فقط ببعض الرسائل والمحادثات الجافّة الخالية من مشاعر الأبوة.

قررتُ أن أُحادثه أنا، وأطلب رؤيته، رُبما أجد عنده حلّاً لما أنا فيه، رُبما أسمع منه بعض الكلمات المطمئنة..

حادثته بصوتٍ باكٍ، أخبرته بمكانى، طلبتُ منه أن يأتى كى أتحدث إليه، وقد كان، جلس أمامى لا يفهم شيئًا، طلب لى عصيرًا لا أحبه، سألنى عن سبب انهيارى، بدأت فى الكلام، وجدته لا يستوعب شيئًا، لا يعلم تلك الأسماء التى أطرحها عليه، لا يعلم من هم أصدقائى، يجهل الكثير من التفاصيل العادية عن حياتى، وجدتُ أننى أواجه مشكلة أخرى أكبر من مجرّد علاقة حب فشلت، اكتشفتُ أننى اخترت الكتف الخطأ الذى أستند إليه، كتفًا لم ولن يكون هنا من أجلى وقتما احتاجه، والأهم، أن علاقة الحب الفاشلة لم تكن أبدًا الخذلان الأول، سيظل أبى هو خذلانى الأول والأكبر إلى الأبد".

انتهيت من الكتابة، دمعت عينى رغمًا عنّى، مسحتها ورفعت وجهى لأجد معتز جالسًا أمامى، انتفضتُ، فقد أخبرته أننى آتية إلى هذا المقهى لكن لم أتوقع مجيئه، تحدث بنبرته الواثقة:

ـ شكلك حلو وانتِ بتكتبى.

ثُم فتح هاتفه ليرينى صورًا التقطها لى وأنا أكتب، وضع يده على يدى وقال: "أنا أراكِ دائمًا من زاوية أجمل مما تظنين".

***

مضى أسبوعان منذ وجدت يُسرا السلسلة على مكتبها، لم تعلم من هو المُرسِل، انتظرت ظهوره لكنه لم يأت، فقررت أن تتناسى الموضوع إلى أن حدث حدث آخر مبهم، وجدت صورة لفاتن حمامة مُعلقة أمام مكتبها، صورة معينة تعشقها يُسر، وكتب أسفلها "تشبهينها كثيرًا فى تلك الصورة، خاصة فى ضحكتها الطفولية".

مما أثار حيرتها أكثر، من هذا الذى يعلم أيضًا حبها لفاتن حمامة، وكيف لا يراه أحد عندما يتسلل إلى مكتبها ليضع تلك الأشياء؟

كالعادة ذهبت لتسأل عن المرسل، ولكنها أيضًا لم تحظ بأية إجابة مفيدة.

أتى عامل المشروبات كى يضع لها القهوة، لتجده يقدم لها "مج" عليه الصورة ذاتها لفاتن حمامة، وضعه ثُم رحل سريعًا، صُعِقت للمفاجأة، لم تنظر يُسر إلى وجه العامل وهو يقدم لها المشروب، فلم تتبين

من هو، ذهبت سريعًا إلى مطبخ الشركة لتسألهم، وجدت أن العاملين لم يأتوا بعد، وأن المطبخ مغلق، وهى كعادتها أتت مبكرة قبل أن يأتى أحد.

***

(5)

اليوم يوم ميلادى، اعتدتُ كل عام أن أجلس مع ذاتى وأتحدث إليها، أدوِّن كل ما أشعر به، وكل ما وددتُ الشعور به، ما حدث فى العام السابق، وكل ما أتمنى أن يحدث فى عامى الجديد، كل شيء أحببته ومال إليه قلبى، كل شخص اقتقدته وتمنيت وجوده، كل من أحمد الله يوميًا على وجوده فى حياتى، وكل من أشكر الله فى كل دقيقة على خروجه منها بلا عودة.

"مرحلة اللاشعور، تلك الفترة التى ماتت فيها كل المشاعر، وأجدب القلب وجفّت الروح، أنت هنا فى الفترة التى تختفى فيها كل المشاعر التى يمكنها أن تشعرك أنك موجود بالفعل، حى تتنفس، تستجيب لكل ما يحدث لك، مهما كان سيئًا، مجرد استجابتك للأحداث السيئة تعنى أنك مازلت حيًّا.

بعدها تأتى مرحلة العودة للشعور مرّة أُخرى بعد محاولات لا حصر لها من الفشل ثُم الاستسلام، والانتهاء بالعودة إلى نقطة الصفر، ثُم أخيرًا تعود الروح للحياه مرّة أُخرى، هذا ما بدأت أشعر به مع

دخول معتز حياتى، وأتمنى من أعماق قلبى أن يكون جديرًا بهذا الشعور".

استيقظت مبكرًا اليوم لأدون تلك الكلمات التى عاشت بداخلى طوال عامى السابق لتولد اليوم فى يوم ميلادى، احتسيت قهوتى الصباحية ثُم ذهبتُ إلى العمل.

الجميع يتصرف بطريقة غريبة اليوم وخاصة يُسرًا، تُصر على الذهاب اليوم مساءً إلى مقهى معين، وكلما حاولت تغيير المكان تلعثمت وأصرت أكثر على الذهاب إلى هذا المكان بعينه، فهمت أنها تعد لى نوعًا من المفاجأة التى كشفتها بسبب عفويتها ولكن لم أخبرها، وأيضًا زملائى المقربون فى العمل يتصرفون بنفس الطريقة فاستطعت بمنتهى السهولة فهم أنهم مدعوون اليوم مساءً.

عُدت إلى البيت بعد قضاء نصف يوم عمل، الأمر الذى وافق عليه سامر بسهولة على غير عادته، مستثنيًا يوم ميلادى، ارتديتُ ثوبًا ورديًّا به بعض النقوش السوداء، وحذاءً أسود اللون بكعبٍ عالٍ، لوّنت شفتىّ باللون الوردى، وضعتُ كحلا شديد السواد، وكذلك الـ"ماسكارا"،

ثُم دخلتُ غرفة أمى، كانت تقرأ كتابًا، وضعتُ قبلة على خدها الأيمن، ضمتنى إليها فى حنان قائلة: "كل عام تصبحين أكثر شبهًا لى".

أجبتها قائلة: " أنا نسخة مصغرة منكِ، أشبهكِ بكل تفاصيلك، عدا تلك الشامة فى وجهكِ، تتميزين بها، وتجعلكِ دومًا الأجمل".

لو تعلمين يا أمى كم أتمنى أن أكون مثلك، بقوتك وجمالك، بخبرتك التى أتعلم منها كل يوم، كم تمنيتُ امتلاك قلب كبير كقلبك الذى يسعنى دائمًا كلما عدتُ إليه كى أختبئ به من الدنيا وما تفعله بصغيرتك، وقدرته على احتوائى وحمايتى، حقًا، أنتِ الوحيدة التى أكون بدونها كقطة ضائعة فى الشوارع بلا مأوى.

ما يميز علاقتى بأمى أننا دومًا أصدقاء، أخبرها بكل شيء، أعلم أن صورتى لن تهتز أمامها مهما حدث، فهى الوحيدة التى تعلم جيدًا طهارة قلبى ونقاء روحى، أخبرتها عن معتز، لكنها لم تكن ترتاح لشخصيته المتقلبة، تعلم أننى سعيدة اليوم ولم ترد إفساد سعادتى، اكتفت ببعض الكلمات التى أدركتُ قيمتها بعد بضع ساعات، أخبرتنى أننى لستُ بحاجة إلى البحث عن الشخص الذى أراه مناسبًا اليوم،

ولكن الذى سيكون مناسبًا فى كل أيام حياتى، اليوم وبعد مئة عام، وهذا الشخص سيجدنى دون مشقة، ولن أحتاج أن أبحث عنه.

أتت يسر كى تأخذنى ونذهب إلى حفل عيد ميلادى، لم أتوقع حفلًا كبيرًا، ولكن كل ما تمنيته هو حضور كل من أحبهم، وبالفعل عندما ذهبت وجدتهم جميعًا، أخذت أبحث بعينى عن معتز، ولكن لم أجده بينهم، أحاطنى الجميع بالتصفيق والتهنئة، ابتسمت ابتسامة كشفت يسر ما وراءها، أننى مشغولة بالبحث عن معتز، أتت وجذبت ذراعى، وأخذتنى إلى دورة المياه، هبطت دمعة عفوية من عينى، همستُ قائلة:

ـ ماعزمتيهوش؟

ـ عزمته أكيد، بس مش هييجى، جاله سفر شغل ماعرفش يعتذر عنه..

ابتلعتُ الغصة، تذكرتُ كلمات أمى، وعزمت على استكمال اليوم دون أن أفكر فى غياب معتز.

***

عدت إلى البيت حاملة معى خيبة أملى، كنت بحاجة لوجوده معى خاصة اليوم، كل شيء كان ينقصه، كنت أتوق إلى الكتابة، خرجتُ إلى الشرفة، برد الشتاء القارص يتناسب مع البرودة التى تركها بداخلى معتز الذى لم يتذكر يوم ميلادى، أمسكت بالقلم وبدأت فى الكتابة.

"ها هو يوم الجمعة، اليوم المحدد للقاء أبى فى النادى يتزامن مع عيد ميلادى السابع، تفاجأت بوجود عائلته التى لا أعرف منها أحد،وهم أيضًا لا يعرفون عنى شيئًا توقعت أنهم هنا ليحتفلوا بى، ولكن فتفاجأت أكثر بسبب وجودهم، وهو احتفالهم بعيد ميلاد ابنة عمتى، إلى جانب عيد ميلادى، الذى تركه أبى على الهامش، أبى الذى أتى وقال:

ـ كل سنة وانتِ طيبة، دى حفلة عيد ميلاك انتِ وريم بنت عمتك!

لتأتى كعكة كبيرة كتب عليها فقط "سلمى"، والجميع يلتف حولها هى، يغنون لها ويحتفلون بها، وكعادتى، منسية فى عائلة أبى، وغائبة فى قلبه".

أفقتُ على صوت الهاتف، معتز المتصل، أجبته على مضض، سبقنى قائلًا:

ـ أنا والله مانستش، كنت فى اجتماعات طول اليوم بس..

قاطعته قائلة:

ـ معتز، لو بتكلمنى عشان عيد ميلادى، فاليوم خلص، وانت ماكنتش موجود ولو حتى برسالة صغيرة!

***

الشعور الأسوأ على الإطلاق، أن تود لو تلوم أحدهم، ولكن العلاقة بينكما لا تسمح لك ببوح كل ما تريده، أن تفرغ كل الكلام القابع بعقلك وقلبك، أن تلوم أحدهم لوم الأحباء وأنتم مجرد أصدقاء.

ذهبتُ للعمل وعلى وجهى أثر بكاء الليل، دخلت مكتبى لأجد سامر جالسًا فى انتظارى، ارتشف رشفة من قهوته، ثُم نظر لى مشفقًا قائلًا:

ـ أنا أخدت بالى انك ماتبسطيش يوم عيد ميلادك.

نظرتُ له غير مهتمة، ليكمل قائلًا:

ـ أنا عمرى ما شفتك بالضعف ده!

استفزتنى كلماته، أجبته بغضب ودون تفكير:

ـ هو الحب ضعف؟!

ـ لمّا يكون لناس مش مؤمنة بيه أصلًا يبقى جنان، انتِ بتحاولى فى حاجة هتخسرى فيها قلبك ومشاعرك.

ـ انت ماتعرفش معتز عشان تقول عليه كده!

ـ مش محتاج أعرفه عشان أترجم أفعاله، هو مش عارف أصلًا هو عايز إيه..

للأسف، ونحن فى منتصف أى موضوع لا نرى ما يراه الآخرون، ليس فقط لخبرتهم، ولكنهم دومًا يرون الأشياء من الخارج برؤية أوضح، نحن من الداخل نرى رؤية القلوب، أمّا هم، فلعقولهم آراء أُخرى. لممتُ أغراضى وأخبرته أننى سأعمل اليوم من المنزل.

***

"الوقت بينسّى، اللى كان بالنسبة لك حاجة كبيرة ومِشى، فى الأول الموضوع بيبقى صعب، بس مع الوقت كل حاجة بتعدّى، اللى كان بيفرق معاك وخذلك، الوقت هيعرفك إنه ماكنش له لازمة فى حياتك من الأول".

ليال زهران

بعد أسبوع انقطعت فيه محادثة معتز، حاولت التأقلم فيه على غيابه، حاول الاتصال بى فى أول يومين ثُم لم يعاود اتصاله، قلت إنها النهاية، لم أستطع ممارسة عملى بشكل طبيعى، يومين أذهب وثلاثة أيام أعمل من البيت.

ذهبت إلى المقهى للكتابة، جلست فى صمت وفتحت الـ"لابتوب" ثم شرعت فى الكتابة.

" يوم الجمعة، اليوم المفضل لدى كل الصغار والكبار، يوم الإجازة الأسبوعية المخصص للراحة، كان يمثل لى التعب الجسدى والنفسى، اليوم المخصص لتجمع العائلات ولم شملها، كان يذكرنى دومًا ببتر أبى وعائلته من حياتى.

أتذكر أننى كنت فى السابعة من عمرى، ذاهبة كعادتى لرؤية أبى، فاجأنى بمجيء زوجته الجديدة وابنته منها، جلست على منضدة بعيدة، ليأتى هو ويسحبنى من يدى، قدمنى لهما، ابتسمت زوجته ابتسامة مصتنعة، اقتربت لتقبلنى، ادعيت أننى مصابة بالبرد كى لا تقترب أكثر، ابتعدت وقد فهمت عدم رغبتى فى تقبيلها، كان هناك بعض الألعاب الموضوعة على المنضدة، وبشغف وفضول طفلة، اقتربت لتفحصها وقبل أن ألمسها قال أبى:

- دول بتوع بنتى..

ثُم صمت للحظات مكتشفًا أنه قال كلمات جارحة، لكنه لم يندم، أبدًا لم يفعلها، لم يعتذر، ثُم قالت لأبى فى سخرية:

- بنتك مش سهلة خالص!

أخذتُ حقيبتى الصغيرة، وقمت بفتحها ووجدت شوكولاتة علمت أن أمى قامت بوضعها قبل أن أخرج، ابتسمت ومسحت دمعة قد هبطت رغمًا عنى، وقلت له:

- مش عاوزة اللعبة، ماما سابت لى حاجة أحلى".

أفقت لأجد معتز يجلس أمامى للمرة الثانية، ومعه هدية، فتحها وكانت خاتمًا، ألبسنى إياه ثُم قال:

ـ ممكن ماتزعليش؟

ـ لسة فاكر؟

ـ أنا آسف، أنا فعلًا مقصر معاكِ جامد، بس انتِ عارفة انتِ إيه بالنسبة لى..

وكانت تلك هى المشكلة، أننى لا أفهم شيئًا، ولا أعرف مَن أكون بالنسبة له.

***

(6)

الشعور بالفراغ الذى لن يمتلئ أبدًا، أن تفنى أمتعتك التى لطالما ملأتها بالشغف، أن تصل بطاريتك الشخصية وليس هاتفك إلى ٣٪ فى مكان انقطعت فيه الكهرباء، أن تنطفيء طاقتك وينفد رصيدك إلى الحد الذى يجعلك بعيدًا تمامًا عن عالمك الذى تحبه، أن تأخذك الرياح إلى جزيرة نائية لا يوجد بها شخص يؤنسك، أن يأتى الربيع وأنت مصابٌ بحمى تمنعك من شم رائحة الزهور، أن تذهب للسينما لمشاهدة الفيلم الذى لطالما انتظرته لتجد أن كل التذاكر قد تم بيعها، هذا الشعور بالإحباط والملل، الذى يحتاج إلى تغيير جذرى فى حياتك، ربما يتغير كل شيء، ربما تسترجع حياتك القديمة التى تحبها.

حادثتنى يسر وهى فى الطريق للعمل، كنت فى منزلى أستعد للذهاب للعمل أنا الأخرى، أجبتها متعجبة من اتصالها المبكر:

ـ أنا مسافرة بعد بكرة الغردقة مع الشغل، وممكن حد ييجى معاى، عايزاكِ تيجى، انتِ بتحبى الغردقة.

ـ بس ميعاد الحملة قرّب..

ـ مش هنطول هما أربع أيام، وهاتى حاجتك معاكِ واكتبى هناك تغيير يعنى.

ـ لسة ماعرفتيش مين بيبعت لك هدايا؟

ـ لأ وهاموت وأعرف هو مين، أكيد حد معاى فى الشغل، عشان كده مش عايزة أسافر لوحدى، عايزاكى معاى نشوف مع بعض مين اللى بيعمل كده.

ـ هافكر فى الموضوع، أنا فعلًا محتاجة تغيير.

***

حبى للبحر الأحمر، وخاصة لمدينة الغردقة، لا يوصف، فكرت فى الأمر ووجدت أننى فعلًا بحاجة إلى تغيير، أخذت القرار بالسفر معها، ربما ساعدنى الجلوس أمام البحر على الكتابة.

لم أحضر معى الكثير من الملابس، على غير عادتى، اكتفيت بالضروريات التى تكفينى خلال الأربعة أيام، لم أذهب مع يسر بالطائرة، لطالما أحببت طريق الغردقة، أردت أن أذهب بالحافلة، كنت بحاجة إلى طريق سفر طويل.

جلست فى المقعد المجاور للنافذة، وكان المقعد الذى بجوارى خاليًا، أخرجت كتابًا لأقرأه، وقمت بتشغيل موسيقى هادئة، إلى أن شعرت بالنعاس، فذهبت فى سبات عميق، لم أستيقظ إلا عند الاستراحة.

استيقظت لأجد شاباً جالسًا إلى جوارى، فى مثل عمرى تقريبًا، تنهد وقال فى خجل:

ـ إحنا فى الاستراحة دلوقتى لو حابة تنزلى.

هززت رأسى مجيبة بالنفى، ليردف قائلًا:

ـ الطريق لسه طويل..

قاطعته قائلة:

ـ أنا كنت باقرأ كتاب و..

وجدته بين يديه، ليجيب فى خجل أكبر:

ـ هو وقع منك لمّا نمتِ، عنوانه شدّنى فبدأت قراية فيه، أنا آسف..

نظرت له مستنكرة، ولكن كان يتحدث بأدب شديد، فأجبته قائلة:

ـ مافيش مشكلة، عجبك؟

ـ قريت أول فصل بس، شدنى جدًا.

ـ ممكن تخليه معاك.

ـ لا أنا هاجيبه أول ما نوصل الغردقة.

ـ دى تانى مرّة أقرأه، مافيش مشكلة..

كان كتاب "الرجال من المريخ، والنساء من الزهرة"، ويتكلم عن طبيعة الرجل والمرأة والاختلاف بينهما، فى حالاتهما النفسية والمزاجية، أخذ الكتاب على استحياء، وكانت تلك هى المرّة الأولى التى أتخلى فيها عن أحد كتبى بهذه السهولة، لكن شيئًا ما فى هذا الغريب جعلنى أثق أنه يحب القراءة ويحافظ على الكتب، وأنه سيعتنى به حتى لو أننى لن أراه مجددًا ولن يقوم بإرجاعه.

سكت لبضع دقائق ثم وجدته يسألنى بصوت هادئ:

ـ بتحبى تسمعى موسيقى وأنتِ بتقرئى؟

ـ أه، باحب أسمع حاجات هادية، وأنا باقرأ ولّما باكتب كمان.

ـ بتكتبى إيه؟

ـ مقالات، أنا باشتغل فى مجلة، وساعات باكتب قصص قصيرة.

ـ ممكن أقرأ حاجة منهم؟

أخرجت له قصة قصيرة تحكى عن فتاة بائعة ورود، أخذ يقرأها ببطء شديد، راقبت تعابير وجهه التى كانت تتغير مع كل حرف يقرأ، كان متأثرًا بأحداث القصة، انتهى من القراءة، وسألنى عن سبب تلك النهاية الحزينة، أخبرته أننى أرى دائمًا أن النهايات الحزينة تَحفَر فى قلوب القُرّاء أكثر، فتح هاتفه وأخبرنى عن أسماء أكثر الأغانى التى يحبها، بحثت عنهم ووضعتهم فى قائمة بعنوان "غريب قابلته فى طريق سفر"، وعدته أن أسمعهم أثناء جلوسى أمام البحر كما طلب منّى.

يخبرنا السائق أننا وصلنا، لأول مرّة لا أشعر بمسافة الطريق، ظللنا نتبادل أطراف الحديث أنا وهذا الغريب إلى أن وصلنا، لا أعرف اسمه ولا يعرف اسمى، لكننا وجدنا بيننا الكثير من الكلام، وكلما انتهينا من موضوع دخلنا فى آخر دون أن نشعر، لم نتكلم عن أى شيء خاص، كلها موضوعات عامة، عن الأفلام والكتب والموسيقى والسفر، ودّعته، ثُم

أخذت حقيبتى ونزلتُ، قمت بإيقاف تاكسى، واتجهت إلى الفندق حيث تنتظرنى يُسر.

***

"أجمل حاجة في أى علاقة الْمُشاركة.. إننا نلاقى إنسان على وجه الكرة الأرضية مهتم بالحاجات اللى بنحبها، سواء أكل، فيلم، لون مُعين، كتُب، مكان، أو حتى كرتون! الحاجات البسيطة دى أساس كل علاقة كبيرة،ماينفعش تتطنِّش".

دخلت الغرفة فى الفندق، أخبرتنى يسر أنها تنتظرنى عند البحر، أخبرتها أننى سأضع أغراضى وأغير ملابسى أولًا، فتحتُ الشرفة المطلة على البحر مباشرة، كم تمتلكنى تلك اللحظة، اللحظة الأولى التى ترى فيها البحر، السفن الماكثة المتراصة كأنها جيش أبيض يحرسه، كم حلمت أن أمتلك واحدة منهم يومًا ما، أن أبحر بين موجات البحر وقتما شئت، أن أكون محاطة بالأسماك، وأنا صغيرة كلما سألنى أحدهم ماذا تريدين أن تصبحى عندما تكبرين؟ كانت الإجابة دائمًا: أريد أن أصبح حورية بحر، أن تتحول قدماى إلى زعانف، ويصبح البحر هو بيتى. كانوا يضحكون، أنا الآن أضحك على براءتى وسذاجتى، ولكن رغم إدراكى

حقيقة أننى أبدًا لن أكون حورية بحر، لكن مازالت الطفلة التى بداخلى تتمنى ذلك كلما وقفت أمام البحر.

ارتديت فستانًا أبيض اللون، قامت أمى بشرائه لى فى عيد مولدى السابق، يقف عند الركبة، وله أكمام شفافة فضفاضة، رفعت شعر لأعلى ووضعت نظارة الشمس، واتجهت إلى أسفل.

التقيت بيسر عند البحر، ضمتنى فى شوق، ثُم أخذت تقدمنى إلى زملائها، هنا أصابتنى الدهشة عندما وجدت هذا الغريب الذى كان يجلس بجانبى فى الحافلة، قامت بتقديمه، علي شاكر، زميلها بالعمل، ثم أخذتنى فى جولة فى الفندق، أخبرتها عن علي وأننى ظللت أتحدث معه طوال الطريق، أخبرتنى بشيء فى منتهى الغرابة:

ـ عارفة يا ليال إنه بيفكرنى بيكِ قوى.. طريقته وحياته، وشخصيته، قريب منك جدًا.

يأتى علي ويقف بجوارى، يقول فى هدوئه المعتاد:

ـ أنا مؤمن جدًّا بالقدر، وكنت حاسس إننا هنتقابل تانى، بس ماتوقعتش إنه هيكون فى نفس اليوم!

ثُم ابتسم ابتسامة بسيطة، كان معتدل القامة، له شعر بنى وعينان لونهما كلون البندق، بهما نظرة تجعلك تشعر بالهدوء الممتزج بالسكينة، لكن أيضًا تجعلك تشعر أن هناك شيئًا مؤلمًا يحدث فى حياته، أخبرنا أنه لم ينم من ليلة أمس، وأنه يحتاج للصعود إلى غرفته لبعض الراحة، ودعنا وذهب.

ـ اتكلمتوا فى إيه بقى طول الطريق؟

قالت يسر وبنبرتها بعض السخرية..

ـ هو ماله؟ حاسة إن فيه حاجة غريبة، بيمر بظروف صعبة؟

ـ هو كان متجوز وطلق بعد سنة بالظبط، هى اللى سابته، بيقول مش متفاهمين، بس واضح إن الموضوع كان أكبر من كده.

ـ كانوا قصة حب كبيرة؟

ـ من أيام الجامعة.

ـ إزاى ممكن تسيبه بعد سنة جواز لمجرّد إنهم ماتفاهموش؟

ـ ماحدش عارف وهو عمره ما قال، بس من ساعتها وهو مش زى الأول، فى حاجة كسرته.

شيء ما كان يجذبنى إلى اكتشاف سبب انطفائه، أن أصل إلى صندوقه الأسود، لكن كان يجب إيقاف هذا الشعور، من هذا الذى لم أكن أعرفه إلا منذ بضع ساعات، والآن أبحث عن فك شفرته، أفقتُ على صوت يسر تقول كأنها تسمع صوتى الداخلى:

ـ خلينا فى معتز اللى احنا مش فاهمينه الأول، أخباركم إيه؟

ـ مسافر، كالعادةماافتكرش يكلمنى من ساعة ما سافر..

***

نحن لسنا فى حاجة إلى وجود بشر حولنا طوال الوقت، أحيانًا كل ما نحتاجه هو أنفسنا، أن نذهب فى نزهة بلا هدف أو اتجاه معين، فقط الانفراد بأنفسنا، ونستمع إلى أغنيتنا المفضلة، أن نذهب إلى السينما لمشاهدة فيلم، أو نجلس فى مكان ما لاحتساء القهوة، نحن ننشغل فى محاولة قراءة أفكار الآخرين، وفى الحقيقة نحن فى حاجة إلى قراءة أفكارنا والإنصات إليها جيدًا، نحتار محاولين فهم الآخرين، ونحن فى

أشد الحاجة لفهم أنفسنا، أن نُقيِّم ما وصلنا إليه فى الفترة الأخيرة، هل أنت الآن فى أحسن حالاتك أم بحاجة إلى مساعدة، هل تحقق كل ما رسمته لنفسك، أو بمعنى أدّق، هل تسير فى الطريق المؤدى إلى أمنياتك، أم أنت فقط تجرى فى سباق لم يكن من أولوياتك أن تسير فيه من الأساس..

أحيانًا الصوت الوحيد الذى تحتاج أن تصغى إليه، هو صوتك أنت.

استيقظت فى الخامسة صباحًا، اليوم الأول من الأربعة أيام، قررتُ أن أكتب كل يوم أمام البحر، وأن أختم كتاباتى برسالة، الجو بارد بعض الشيء، ارتديت فستانًا زهرى اللون، وفوقه معطفًا أسود، أعتقد أنه بعد شروق الشمس سيصبح الجو أفضل، وسأتمكن من خلع المعطف، أعددت قهوتى، وأخذت أغراضى وذهبت للجلوس أمام البحر.

لم يكن هناك أحد غيرى، الهدوء يخيم على المكان، بعض الأضواء البسيطة إلى جانب الضوء الذى ترسله الشمس قبل الشروق معلنة قدومها بعد بضع دقائق، كأنها تعدنا أن كل شيء سيصبح على ما يرام، سيأتى الضوء لينير عتمتنا، تطلب منّا أن نتحلى فقط ببعض الصبر.

جلست على الرمال، ارتشقت رشفة من قهوتى، ثُم شرعت فى الكتابة.

"يوم حفل تخرّجى من المدرسة، كل الآباء والأمهات هنا، إلّا أنا، كانت أمى تقف كجندى مقاتل استطاع الوصول إلى هنا دون أبى، بمفردها قامت بكل الأدوار، أقف على المسرح لأقول كلمة بالنيابة عن دفعتى، مقال كتبته لإلقائه يوم تخرجى، أرى أمى جالسة على أحد مقاعد المسرح ولا أرى سواها، كانت ملكة تجلس على عرش الأمومة، والأبوة معًا، دمعة بعينها لا أراها ولكن أشعر بها، دمعت رغمًا عنّى، ثُم أمسكت بالـ"ميكروفون" وقلتُ:

ـ للمكان اللى اتعلمنا فيه الـ"أ"، ورسمنا الـ"ك"، وكتبنا الـ"ت"، وتممنا الكلمة بالـ"ب".. اكتب، أول فعل اتعلمناه فى حياتنا، للمكان اللى كبرنا فيه، وكوننا فيه ذكريات محفورة جوانا، للمكان اللى شهد على أجمل المواقف، وشاف قربنا، وكان سبب فى تكوين صداقتنا، لكل تحية علم حييناها مع بعض بصوت واحد، لكل حصة فاضية اتجمعنا فيها، لأصدقاء العمر، هتفضلوا دايمًا أقرب ناس لقلبى..

قام الجميع وانهالوا علىّ بالتصفيق، لكننى لم أكن أرى سوى أمى، هى سبب كونى، هى سبب أننى اليوم أتكرّم لحصولى على المركز الأول على دفعتى، وهى سبب تكوين شخصيتى، وهى من دعمت موهبة الكتابة لدى، هى سبب وقوفى اليوم أمام الجميع محاطة بالتصفيق".

أفقتُ لأجدها السادسة والنصف صباحًا، رأيت عليًا يجلس على منضدة بعيدة، أعتقد أنه رآنى ولم يرد أن يقتحم، لوّح لى مبتسمًا، ابتسمت له، ثُم أتى وجلس بجانبى قائلًا:

ـ ممكن أقرأ اللى بتكتبيه؟

أعطيته المذكرة وبدأ يقرأ فى نهم، وعندما انتهى قال:

ـ شكلك طالعة قوية لمامتك.

ـ من غيرها ماكنتش وصلت لأى حاجة، أنا باحضر لحملة عاملاها منظمة كبيرة مع المجلّة اللى باشتغل فيها، تحب تحضر؟

ـ طبعًا، امتى؟

ـ بعد ما نرجع بيومين إن شاء الله.

ـ هاكون موجود، انتِ متعودة تصحى بدرى كده؟

ـ لا.. خالص، بس لمّا باسافر نظام يومى بيتغير لوحده.

ـ وياترى بتحبى الشتاء؟

ـ طول عمرى باحب الصيف أكتر، بس بقى لى فترة باحب الشتاء، اكتشفت إنه بيساعدنى فى الكتابة.

ـ قهوتك إيه؟

ـ شربت.

ـ أنا كمان، بس عايز أشرب معاكِ قهوة، هاطلع أعمل قهوة عشان كل حاجة قافلة دلوقتى، شكلك بتحبيها مظبوطة.

هززت رأسى على استحياء أن نعم، ذهب هو وتركنى مجددًا مع مذكّرتى، فتحتها كى أكتب رسالة اليوم.

"نحن نضيء بمن حولنا، نحن دائمًا فى حاجة إلى من يفهمنا، من يدعمنا، من يحتوينا، من يتخلل بقلبه داخلنا ليلمس خلايانا الميتة فتحيا،

نحن فى أشد الحاجة للشعور بأن هناك شخصا واحدا على الأرض، يحبنا من قلبه".

هنا رن هاتفى، كان معتز المتصل، أجبته وقررت عدم معاتبته على غيابه، فقد أصبح شيئًا معتادًا لا يُلام عليه، وأصبح مجيئه فى ذاكرتى أقل بكثير..

ـ وحشتينى..

ـ وانت كمان.

ـ فيه حاجة مضايقاكِ؟

ـ لا خالص بالعكس، أنا مبسوطة هنا جدًّا.

ـ طيب أنا رجعت القاهرة وعايز أشوفك، ماترجعى بدرى شوية؟

ـ مش هاقدر.

ـ ليه؟

ـ عشان محتاجة السفرية، مبسوطة ومش حابة أرجع دلوقتى.

ـ عمومًا براحتك، كنت عايز أشوفك قبل يوم مناقشة آراء الحملة.

قاطعته فى غضب:

ـ هو انت مش هتيجى؟

ـ احتمال..

ـ ليه؟

ـ غالبًا هاسافر تانى عشان الشغل.

هنا أتى علىٌّ وقال بصوت مسموع:

ـ عملت لك القهوة، يارب تعجبك.

ليقول معتز وقد بدا على صوته الغضب:

ـ مين ده؟

صمتتُ للحظات ثم أجبتُ فى تردد:

ـ صديق.

ـ فعلًا.. تمام، أنا هاقفل دلوقتى عشان عندى شغل، مع السلامة.

ثُم أغلق ولم ينتظر ردًا، نظر لى علىٌّ فى قلق وقال:

ـ أنا سببت لك مشكلة؟

ـ لا مفيش حاجة.

أعطانى القهوة ثم سكت برهة وقال:

ـ أنا آسف.

ـ مافيش حاجة والله.

ـ خطيبك؟

ـ لأ.

ما يميزه أنه بسيط وتلقائى، لا يدّعى، يبدو على وجهه ما فى قلبه، بعيد كل البعد عن اللؤم والخبث، مرّت لحظات قليلة ثُم سألنى عن معتز، أخبرته أنه صديق ليس إلّا، وكانت تلك هى الحقيقة، رغم ما حملته بداخلى تجاهه، رغم كل التلميحات والمشاعر التى لم نبُح بها، نحن لسنا إلا أصدقاء.

***

"عندما نُخفق ونصل إلى القاع، نحب أن يمد أحدهم يده لنا، ليس لأننا راغبون فى الوقوف مجددًا، ولكننا نحتاج من يجلس معنا فى حفرتنا كى يشاركنا الظلام، فالبقاء فى العتمة بصحبة أحدهم، أفضل من كل أضواء العالم وأنت وحيد".

قضيت الأربعة أيام مع يُسر وعلىٍّ، كنت بحاجة إلى تلك السفرية وتلك الصحبة، أتى يوم مناقشة الآراء وعرضها على لجنة مختصة لبدء الحملة، استيقظتُ فى السابعة صباحًا، أخذتُ حمّامًا ساخنًا وارتديتُ قميصًا أبيض اللون، وتنورة تقف بعد الركبة مباشرة، رفعت شعرى لأعلى ووضعت القليل من مساحيق التجميل، ثُم انتظرتُ سامرًا الذى كان من المفترض أن يمر علىَّ بسيارته، لتأتى مكالمة تغير الخطة كلها، كانت من علىٍّ، أجبته فى هدوء، ليرد بحماس:

ـ جاهزة؟

ـ متوترة شوية.

ـ إنتِ قدّها، متأكد إنّك هتبهريهم بأفكارك.

ـ يارب، خايفة جدًّا، إنت مش فاهم أنا بقى لى قد إيه باحضّر للحملة دى، مش متخيل هى مهمة بالنسبة لى إزاى!

ـ عارف إنّك مرّيتى بتجربة شبيهة بوضوع الحملة، عارف إنها تجربة صعبة بس من غيرها ماكنتيش وصلتِ للمكان ده والخبرة دى فى السن الصغير ده.

ـ الحمد لله.

ـ أنا ربع ساعة وهاكون تحت بيتك.

ـ فعلًا؟

ـ لسّه ماجهزتيش ولا إيه؟ هنتأخر كده.

ـ لأ جاهزة، بس سامر المفروض كان هيعدّى عليَّ..

ـ سامر وصل من بدرى، أنا خليت يسر تكلمه وتقول له يروح هو، وإننا هنروح مع بعض احنا التلاتة، بس قالت له مايقولكيش عشان نفاجئك، لازم نبقى معاكِ من أول اليوم.

كنت بحاجة إلى هذا الكم من الدعم غير المشروط، هاتفتُ معتز الذى وعدنى أنه سيحضر، وأنه قام بتأجيل سفره من أجلى، لكنه لم يجب، كنت بحاجة إلى وجوده بجانبى فى مثل هذا اليوم، هاتفته مرّة أخرى، أجابنى قائلًا:

ـ أنا داخل اجتماع دلوقتى، هاخلص وآجي لك على طول يا حبيبتى.

ـ معتز، أرجوك ما تتأخرش.

ـ ماقدرش أتأخر عليكِ.

***

نظرت إلى يسر وقلت لها فى توتر:

ـ عارفة يا يسر، اللحظة اللى بنِخلص فيها من حاجة كانت ضاغطانا ومسببة لنا قلق، حاجة موترانا ومخليانا مش عارفين ننام، زى مثلًا لما بننجح فى مادة كنا شايلين همها، مشكلة فى الشغل تتحل من عند ربنا بعد توتر، تسليم لمشروع معين، الأيام الصعبة اللى مش بننام فيها من الخوف من حاجة معينة، أول ما بتُفرج بيبقى فيه نفَس بناخده كده

ونقول الحمد لله، الشعور ده أعظم حاجة في الدنيا، وده أكتر شعور نفسى أحسه النهاردة..

ـ هتبقى أحسن واحدة والله، أنا متأكدة..

الأصدقاء الذين يظهرون فى وقتهم، أثمن من مجوهرات العالم بأكمله.

جلستُ بجانب سامر كالعادة، بدأنا المناقشة، كان أول موضوع هو الأطفال الذين يعيشون بعيدًا عن أحد والديهم، وعن الألم النفسى الذى يمرّون به، فهم ضحايا، وهم من يقوم بدفع ثمن أخطاء الغير، والثمن هو سلامهم النفسى وأمانهم.

قمتُ أمام الجميع بدأتُ فى عرض آرائى وكتاباتى، حكيت لهم كيف زاد الطلاق فى العالم كله وخاصة مصر.

تشير الأحصائيات أنه ما يقارب من نصف أطفال المملكة المتحدة يعانون من تبعات طلاق آبائهم ، ففي عام ٢٠٠١ كان حوالي ١٤٧٠٠٠ طفل آباؤهم مطلقون، وحوالي ربع هذا العدد هم تحت سن الخامسة من العمر.

فعندما يقرر الآباء الانفصال يسبب ذلك فتور العواطف بينهما، والطفل تكون الصدمة عليه كبيرة، وكأن العالم انقلب رأسا على عقب.

ظهر التعجب المخلوط بالإعجاب بآدائى على رؤسائى وكل القائمين على الحملة، ثُم وقف أحد القائمين على الحملة وقام بتوجيه بعض الأسئلة لى، قال فى حماس شديد:

ـ أستاذة ليال، ازاى بيتأثر الطفل من الطلاق، ممكن توصفي لنا، بما إن حضرتك كمان مرّيتى بنفس التجربة؟

ـ الطفل دايما بيكون فى حالة قلق وتعب نفسى من التفكير الزائد فى أمور هو مش فاهمها أصلا، وصعب ان عقله يستوعبها، ساعات الطفل ممكن تجي له وساوس إن مثلًا والديه ممكن يبطلوا يحبوه، طالما سابوا بعض، وممكن يحس بخوف شديد إن طرف معين ياخده من الطرف التانى اللى هو متعلق بيه، ده غير بقى المؤامرات اللى بيعملها بعض الآباء ضد الطرف التانى إنهم يخلوا الطفل يكرهه لمجرد إن الطلاق تم.

ـ تمام، بما إن الطلاق بقى كتير جدًا، وأكتر الناس اللى بتضّر منه هما الأطفال، إزاى ممكن نقلل الضرر النفسى اللى بيواجهه الطفل؟

ـ أهم حاجة إن الطفل ده مايحسّش إنه لوحده، لازم يبقى عارف إن أطفال كتير زيه، وياريت بقية الأطفال اللى بتتربى فى بيت مكون من أب وأم يعرفوا يتعاملوا مع زمايلهم اللى بيتربوا بعيد عن الأب أو الأم، مايحسسوهمش إنهم مختلفين عنهم أو إن حياتهم ناقصة وبيتهم فيه شيء مش طبيعى.

كنتُ أنظر لجميع الحضور بعين، وبالعين الأخرى أراقب الباب، فى انتظار دخول معتز الذى وعدنى بمجيئه، كنت أظن كل من يخطو من الباب هو، ثم يخيب ظنى، حبستُ دمعة كانت تترقرق فى عينى، ثُم سألنى الرجل مرّة أُخرى:

ـ فى رأيك، الأطفال دول بيكونوا محتاجين اهتمام بشكل مختلف؟

ـ هما محتاجين يعيشوا سنهم، بعيد عن أى ضغوطات ودخول فى مشاكل هما مالهومش أى ذنب فيها، محتاجين يعيشوا فى سلام نفسى بعيد عن أى خوف أو ترهيب، محتاجين يفهموا إن حياتهم كويسة ومافيهاش حاجة غريبة، عشان نبعدهم عن أى عقد أو مشاكل نفسية.

ـ طيب تفتكرى الطفل ده بيحتاج مساعدة نفسية من طبيب متخصص مثلاً؟

ـ مش كلهم، بس لو محتاجين دعم نفسى من طبيب متخصص ياريت الأهل يفهموا إنه طبيعى جدًّا ومش عيب، عشان ولادهم يتربوا بشكل صحيح ويقدروا يمارسوا حياتهم بشكل سوي.

هنا سأل أحدهم:

ـ ما الذى يمكن تقديمه للطفل؟

ـ تكلم مع طفلك بصراحة ووضوح ، اجعلهم يشعرون باطمئنان وأنهم لا يزالون موضع حب ورعاية وعناية الأبوين، امضِ بعض الوقت مع طفلك، كن دقيقا وملتزما بمواعيد وتوقيتات رؤية الطفل.، امضِ قُدمًا فى نشاطاتك والتزاماتك الاعتيادية اليومية مثل لقاء الأصدقاء أو بقية أفراد العائلة ...

شكرًا لحسن الإنصات، لقد اختصرت قدر المستطاع، تجدون التفاصيل فى الملف أمامكم، طالعوه ففيه التفاصيل، وكونوا معنا على تواصل.

صفّق الجميع بحرارة، ثُم عُدتُ إلى مكانى بجوار سامر، الذى كان ينظر إلىّ فى فخر قائلًا:

ـ كنت متأكد إنك قدها.

ثُم صعد أحد زملائى على المنصة ليقدم آراءه، وبعد ذلك انتهت المناقشة، وهممنا بالرحيل، ولم يأت معتز، تركنى فى يوم كهذا، كنت بين الحين والآخر أنظر إلى الباب، عساه يأتى، لكنه لم يفعلها.

***

خرجنا من القاعة، نظر لى سامر فى ابتسامة فخر

ـ عارفة يا ليال، فيه ناس كتير للأسف مش بتفهم علاقتنا، بيفتكروا إن فيه حاجة بيننا، بس الناس مش قادرة تفهم إنى مش باشوفك أختى، إنتِ بنتى يا ليال، رغم إن الفرق بيننا قليل مش كبير لدرجة إنى أخلِّفك، بس فعلا باحس إنى مسئول عنك مسئولية الأب، ولما بتنجحى باحس بفخر الأب، ولما بتزعلى بأحس بقلق وخوف الأب، إنتِ ربنا عوضك بيَّ يا بنت.

ضحكت وقلت مداعبة إياه:

ـ بغض النظر إنك عجوز، بس أنا ممتنة جدا لوجودك فى حياتى.

- عندى ليكِ خبر حلو، عجبتيهم جدا وعايزينك تتكلّمى فى الموضوع اللى جاى، عن التوحُّد.

***

"لما حد يبعد عننا من غير ما يقول أسباب، مجرد إنه صحى من النوم وقرر إنه يختفى، إنه مايعرفناش تانى، بدون أسباب أو مبررات أو حتى حِججِ، ده بيبقى نتيجة لإشارات كتير تجاهلناها فى البداية، ربنا دايما بيدينا علامات، بس للأسف مابنشُفهاش، أو بنشُوفها ونعمل مش واخدين بالنا، على أمل إن فُلان ده هيتغير، وبنفضل نحاول كل يوم، مرّة ورا مرّة، زى اللى بيلبس جزمة مش مقاسه ومش عارف يمشى بيها، بتوجعه وبتألمه جامد، بس مصمم يمشى بيها بالعافية، رغم إنه موجوع".

ليال زهران

نحن دومًا نتوقع الكثير ممن لم يقدم لنا إلّا أقل القليل، نحن من نضع آمالًا فيمن تسبب فقط فى الآلام، نحن من نصنع صورًا لأبطال ثُم

نبكى على الأطلال، نحن من نتخيل نهايات سعيدة لبدايات حزينة، المشكلة ليست فى هؤلاء الأشخاص، المشكلة دومًا فى طموحنا الزائد.

حادثنى معتز، ظل يعتذر مرارًا وتكرارًا، أخرجت شحنة الغضب القابعة بداخلى، وسامحته لكن على مضض، لكن فى النهاية سامحته، ويبدو أنه كان يتلذذ بتلك الفكرة، يخطئ، ثم يعتذر وهو يعلم فى النهاية أننى سأتقبل اعتذاره على أية حال.

اليوم سيأخذنى للخروج معه ومع بضع أصدقائه، كنت واضعة شكلًا معينًا لليوم، رسمت فى خيالى أشياء تعوض تركه لى فى أحد أهم أيام حياتى، أنه سيجعله يومًا مميزًا، لكن تخيلاتى كانت أبعد ما يكون عن الواقع.

كنت حاملة بداخلى أخبارًا كثيرة وقصصًا أردت إخباره بها، أردتُ أخذ رأيه فى أشياء عِدة، كنت أتوق لأخبره بكلام كثير، وأردت فقط أن يعطينى أذنه وانتباهه وبعض وقته، وحدث عكس كل ما توقعته، لم يوجه إلىّ أى حديث منذ جلسنا، كأنه كان يتجاهل وجودى، لا أعلم لِمَ، عزمت على معاتبته فى الهاتف عندما عدت إلى المنزل، وعندما فعلت، قال لى فى قسوة:

ـ ليال، مش عاجبانى الطريقة اللى بتتكلمى بيها.

ـ أنا ماقلتش حاجة غلط، انت اتعودت على وجودى، اتعودت إنك تلاقينى وقت ما تحتاجنى، لكن أنا لمّا باحتاجك، مش بالاقيك.

ـ ظروفى كده وانت عارفة، وده مش مبرر لطريقة الكلام دى.

ـ أنا ماقلتش حاجة غلط، أنا تعبت منك، ليه بتظهر وتختفى، ليه لازم دايما أدوّر عليك، ليه دايما لازم أخاف إنك ما تكنش موجود فى أى مناسبة مهمة لىَّ، ليه بتتعامل معاىَ بالطريقة دى كأننا بنلعب استغماية؟ ليه؟ أنا زهقت من العلاقة الغريبة اللى مش مفهومة دى!

ـ ممكن ننهيها..

ـ بالسهولة دى؟

ـ ....

ـ تمام، مع السلامة.

ثُم أغلقت الهاتف، وأغلقت معه صفحة معتز من حياتى تمامًا.

***

(7)

النسيان، هذا الذى نتمنّاه كلنا لأشياء مختلفة، فهناك من يتمنى محو ذاكرة معينة متعلقة بشخص ما، أو حدث ما يسبب له آلاما، أو ربما فترة زمنية مجرد ذكرها يشعرك بالخوف والضياع، جميعنا نتمنى النسيان، وهو من أهم نعم الله علينا، إنه مع الوقت يصبح تأثير كل هذا علينا أقل، حتى يصبح بلا قيمة.

لم أفكر فى الانعزال هذه المرة، لم أفكر فى إغلاق هاتفى وعدم الذهاب إلى العمل، لم أفكر فى البعد عن أشخاصى المفضلين أو عن حياتى التى أحبها، أخذت عهدًا مع نفسى ألا أتوقف عن الحياة، ألا أتخلى عن أحلامى، أنا هنا لأحقق شيئًا، لأصنع شيئًا مختلفًا، وهذا لن يأتى بالبُعد بسبب علاقة فشلت، فالحزن مهم، ولكن له وقته، ووقته كاف له، ليس من المفترض أن يتسع هذا الوقت فيستحوذ على حياتى بأكملها.

الحياة مليئة بأماكن وأشخاص، الحياة بها أشياء تستحق البقاء من أجلها، وخاصة أنه فى الفترة الأخيرة لم تتركنى يسر إطلاقًا، وقويت علاقتنا بعلىٍّ فى تلك، كنّا نذهب ثلاثتنا فى كل مكان، هنا أدركت أن

مجرد ظهور أشخاص معينة فى وقت معين نعمة، أدركت معنى كلمة الوقت الصحيح.

***

هل من المفترض أنه عندما نتعرّض للخذلان، أن نجلس ونضع يدينا بجانبنا؟ أم نمد أيدينا ونعمل وننشغل ونذوب فى الحياه مرّة أُخرى؟

اتخذت قرارى، باقى يومان على موعد المؤتمر، حادثت صديقة تعرفت عليها عندما كنت أعمل فى إحدى المنظمات المهتمة بحقوق الإنسان، لديها أخ مصاب بالتوحد، أخذت منها بعض معلومات، ووددت أن أذكر اسم آسر أخيها فى المؤتمر كمثال جميل لمرضى التوحُّد.

"كنت فى عامى الثانى فى الجامعة، كنا مجتمعين كلنا، أعضاء المنظمة المهتمة بحقوق الإنسان، وكان آسر حاضرًا اليوم، كان يلعب بعفوية مثل الأطفال، ليأتى أحد العاملين بالنظافة فى المكان ويقول لآسر ذى السابعة عشر عامًا فى حدة:

ـ إنت بتجرى كده ليه؟

ثم قال فى سخرية:

ـ أه هو انت بقى اللى...؟!

كنت أشاهد الموقف ولم أستطع أن أصمت، هاجمته قائلة:

ـ اللى إيه؟ آسر ده ملاك معانا هنا!"

***

أتت يسر فى يوم إلى منزلى مهرولة، كانت تأخذ نفسها بصعوبة بالغة، قالت فى جنون:

ـ ليال، أنا آسفة جدا .

ـ فيه إيه؟

ـ أنا عرفت مين اللى كان بيبعت لى الهدايا..

ـ مين؟!

ـ معتز..

ـ إيه؟

ألهذه الدرجة من الجنون قد يصل البعض؟ ما هذا الذى أسمعه؟

هبطت دمعة من عينى، هربت وحاولت أن أحبسها لكن فشلت،

ضمتنى يسر بقوة حتى أهدأ.

ـ أنا والله آسفة.

ـ إنتِ ذنبك ايه؟ هو اللى غلطان مش إنتِ.

ـ هو فاكر إنه ممكن يوقع بيننا؟

ـ أه، بس احنا أقوى من كده بكتير صح؟

ـ طبعا يا ليال، إنتِ أختى، أنا باحبك قوى وبجد آسف.

ـ آسفة على إيه بس، كويس إنك جيتِ واجهتينى.

ـ عشان ماينفعش حاجة زى دى مااقولكيش عليها، عشان تعرفى قد ايه هو إنسان مريض، ومايستاهلش.

ـ احكي لى عرفتِ ازاى؟

ـ كلمنى وقال لى إنه عايز يقابلنى، توقعت إنها حاجة تخصك، قابلته ولقيته بيقول لى انه بيحبنى، وجايب لى تى شيرت الأهلى هدية عشان عارف إنى أهلاوية صميم!

ـ ربنا يشفيه والله، أنا مش زعلانة، بالعكس أنا فرحانة جدا إن ربنا كشفه لى وبين لى حقيقته بالسرعة ديَّ وفى الوقت المناسب.

***

يوم المؤتمر ذهبت بمفردى، لم يكن مُصرحًا لى أن أصحب أحدًا من أصدقائى، جلست بجانب الشخص الذى يحد من توترى واضطرابى، سامر كالعادة.

قُمت ووقفتُ أمام الجميع وبدأت فى استعراض ما عندى:

ـ التوحد هو اضطراب عصبي تظهر فيه أعراض في مرحلة الطفولة المبكرة، بعض الأطفال من الانحدار أو الاضطرابات في النمو الطبيعي، وتأتي الأسرة للطبيب لأن الطفل لا يتكلم حتى لو كان زملاؤه يتحدثون، أو لأنه كان يستطيع أن يقول كلمات مفردة مثل "بابا" و"ماما".

سأل أحدهم:

ـ ما هي أعراض التوحد؟

ـ هناك مجموعتان رئيسيتان من أعراض اضطراب طيف التوحد:

الأولى: ضعف في التفاعل الاجتماعي ومهارات الاتصال، مثل عدم الاهتمام بالأشخاص أو أقرانهم أو إظهار قلة الاهتمام، وأن يكون في عالمه الخاص دائما، لا ينظر إليك عندما تناديه، والمشي على

أصابع قدميه، التأخير في الحديث أو التوقف عن الحديث، التراجع في الكلام، تكرار ما يقال، استخدام الضمائر بالعكس (بدلاً من أنا، يستخدم هو).

الثانية: الاهتمام المحدود والسلوك والأنشطة المتكررة ، مثل الحركات النمطية والمكررة (الدوران، التأرجح حول نفسه تمثيل، حركة الأجنحة)، الالتزام الشديد بروتينهم، والتفاعل الشديد ضد التغييرات، حساسية مفرطة لبعض الأصوات والروائح والنكهات.

ثُم سأل آخر:

ـ ما هو سبب مرض التوحد؟

ـ لم يعرف سبب التوحد بعد ، ففي التوحد يعتقد أن العديد من الجينات هي المسئولة عن المرض، ويتم تطوير الأدوية التي تؤثر على اضطراب الجينات في علاج المرض من المتوقع أن يحقق بعض الأطفال المصابين بالتوحد نتائج إيجابية في السنوات القادمة.

على المستوى العالمي، تُفيد التقديرات أن مرض التوحد يؤثر على ٢٤,٨ مليون شخص اعتبارًا من عام ٢٠١٥. في العقد الأول من القرن

العشرين، قُدرت نسبة الأشخاص المتأثرين عالمياً بـ ١-٢ لكل ١٠٠٠ شخص في جميع أنحاء العالم. في البلدان المتقدمة، يتم تشخيص نحو ١,٥٪ من الأطفال الذين يعانون من طيف التوحد اعتبارا من عام ٢٠١٧. وذلك بزيادة من نسبة ٠,٧٪ في عام ٢٠٠٠ في الولايات المتحدة.

صفق الجميع بحرارة، تذكرت وقتها آسر وأخته ياسمين القرش، وابتسمت..

***

الوقت الذى كنت أمّر فيه ببعض الصعوبات بسبب ما حدث مع معتز، كان يهونه عليٌّ الذى أخبرته بكل شيء عن معتز، كنا نذهب أنا وهو ويسر فى كل مكان، ذهبنا إلى السينما، شاهدنا أفلاما كثيرة، تسوقنا وسافرنا، كنت حقا بحاجة إلى تلك الفترة من الحرية والانطلاق.

ها نحن فى المقهى منتظرين عليًا لكنه تأخر بعض الشيء، هنا تدخلت يُسر، التى كانت تبدو سعيدة بسبب تطور علاقتى بعلى، كنّا جالسين فى المقهى، ابتسمت وقالت فى حنان:

ـ ليال، حاسّة إن علي فيه حاجة من ناحيته ليكِ، صح؟

ـ أيوه.

ـ طيب أنا مش عايزاكِ تكونى متلخبطة، مش عايزاكِ تكونى..

قاطعتها قائلة:

ـ ماتقلقيش، أنا مش باحاول أهرب أو أنسى معتز بحد تانى.

ـ أنا بس باطمن عليكِ، عارفة إنك عاقلة، بس حبيت أطمن مش أكتر..

ـ ماتقلقيش، أنا مش عارفة ليه ماحكاش خالص عن طليقته، ليه سابته؟!

ـ ده سر هو مش راضى يتكلم فيه مع حد، موضوع غامض.

ـ مش غامض أكتر من إنه بيلبس بكُم على طول حتى فى الصيف، ما علينا، رامى مختفى بقى له شوية، تعرفى هو ماله؟

ـ رامى سافر يا ليال.

ـ إيه؟ امتى وفين؟

ـ أمريكا، رامى بيحبك يا ليال.

ـ بس أنا..

ـ عارفة إنه بالنسبة لك زى أخوكِ، بس هو مش شايفك كده، عامة هو أحسن له إنه بعيد..

ـ أنا حقيقى نفسى يشوفنى زى أخته.

ـ طب وعلىّ؟ إنتِ حاسّة إيه؟

ـ وجوده مُريح، مُريح جدًا، هو اتأخر كده ليه؟

ـ كلمتيه؟

ـ باكلمه بس مغلق.

ـ استني شوية وكلميه تانى.

انتظرت بضع دقائق وحادثته، لكن كان هاتفه مغلقًا أيضًا، وهذا ليس من طبيعته، أخبرنا أنه قادم، ثُم أغلق هاتفه، ولم يفتحه إلا فى اليوم التالى.

***

ظللتُ أحاول الاتصال بعليّ ولكن لم يجب، ازداد قلقى، حتى يسر الزملاء فى العمل لا يعلمون عنه شيئًا، لم أكف عن محاولات الاتصال، إلى أن أجابتنى امرأة يبدو من صوتها أنها فى مقتبل العشرينات من عمرها:

ـ ألو.

ـ أيوه، مش ده تليفون على؟

ـ أه، أنا فريدة أخته.

قاطعها صوت علي وهو يسأل عن المتصل، لتجيبه بالاسم الذى ظهر لها على الشاشة عندما اتصلت، وقد كان "القدر"، ثُم أكملت قائلة:

ـ علي تعب امبارح شوية..

قاطعها مرّة أُخرى وأجابنى هو قائلًا:

ـ ليال، أنا آسف إنّى ماقدرتش آجى امبارح.

ـ أختك بتقول لى إنّك تعبان، سلامتك، هو إيه اللى حصل؟

ـ حرارتى ارتفعت شوية بس امبارح، وتعبت شوية ورُحت المستشفى، بس أنا الحمد لله دلوقتى أحسن بكتير.

ـ مستشفى إيه؟

ـ أنا كويس ماتتعبيش نفسك.

ـ علىّ لوسمحت..

أعطانى عنوان المستشفى، حادثت يسرًا وأخبرتها بما حدث، وأعطيتها عنوان المستشفى واتفقنا أن نتقابل هناك بعد نصف ساعة، وفى خلال بضع دقائق قمت بتغيير ملابسى، وقبل أن أخرج من باب البيت نادتنى أمى، وسألتنى إلى أين سأذهب، أخبرتها، كانت تعلم بوجود على فى حياتى وتشعر أنه مهم بالنسبة لى، ابتسمت فى حنان وقالت:

ـ ابقى طمنينى عليه.

***

دخلنا الغرفة التى بها على، كان محاطًا بأصدقائه، وسيدة تجلس بجانبه يبدو عليها القلق الشديد، فهمت أنها أمه، ابتسمت عندما رأتنا ورحبت بنا ثُم قدمت لنا شوكولاتة، قام على بتقديمنا لها، فهمت من تعبيرات وجهها أنها تعلم من أكون، كانت تهتم بنا أنا ويسر ولكن كان اهتمامها بى مختلفًا، سألتنى فى حنان:

ـ إنتِ صحفية يا ليال مش كده؟

ـ أيوه.

ـ أنا قبل ما أخلّف على اشتغلت فترة فى مجال الصحافة، أنا أصلًا كنت فى كلية إعلام، بس بعد ما خلّصت الماجيستير سِبت مجال الصحافة وعملت دكتوراه واشتغلت دكتورة فى الجامعة الأمريكية.

ـ أنا بافكّر أكمل دراسات عليا.

ـ وأنا أشجعك إنّك تاخدى الخطوة دى، هتفرق معاكِ فى مجالك.

ـ أنا عندى حفل تكريم قريب، أتمنى حضرتك تقدرى تحضريه.

ـ إمتى؟

ـ لسة ماحددوش، أول ما أعرف هاقول لحضرتك.

ـ هاستناكِ، أنا ليّ علاقات كتير فى المجال بتاعنا، لو احتاجتِ أى حاجة عرّفينى.

ـ شكرًا.

خرجت أمه لتتحدث فى الهاتف، وتبعتها يسر، فهمت أنهما يريدان تركنا بمفردنا، اقتربت منه وجلست بجانبه ثم قلت:

ـ مامتك جميلة جدًا.

ـ لمّا تقربى منها هتحبيها أكتر.

ـ ممكن تفهمنى ايه اللى حصل؟ ليه تعبت فجأة كده؟

ـ إرهاق بس، ماتشغليش بالك.

أرهقه الكلام أكثر، فصمتتُ، ليقول:

ـ ساكتة ليه؟

ـ حسيت إن الكلام بيتعبك.

ـ أنا بارتاح لمّا بتتكلمى، احكي لى كل أخبارك.

قصصت له كل شيء، ظللت أتحدث إلى أن أغمض عينيه ونام، أخذت أغراضى وخرجت، وجدت أمه أمامى تبتسم، ثُم قالت فى حنان:

ـ على بيطمن معاكِ يا ليال، شكرًا إنك إدتِ له إحساس كان فاقده بقاله سنين.

***

الطمأنينة هى أم كل شعور، منها يولد الحب الحقيقى، وفى رحمها يتكون الاحتواء، وبين أحضانها ينمو العطاء، كلمات والدة على لمست شيئًا بداخلى، شيئًا كنت أفتقده أنا أيضًا، لا أعرف متى كانت المرّة الأخيرة التى شعرتُ فيها بالطمأنينة، لكننى أجزم أننى الآن أشعر بالراحة لوجود على معى.

طالت فترة مكوث على بالمستشفى، ولم يسمح لى بالدخول له، ذهبت إلى مكتب الطبيب النفسى المتابع لحالته، أعلم أن حالته النفسية تحتاج دعمًا أكثر من حالته الجسدية، طرقت الباب وسمح لى بالدخول، جلست أمامه وقلت فى قلق:

ـ دكتور شريف، هو على عنده إيه؟

ـ على بخير ماتقلقيش، هو بس محتاج رعاية الفترة دى، عشان كده أفضل له إنه يفضل فى المستشفى شوية.

ـ طيب هو ليه مش هينفع أشوفه؟

ـ هو محتاج راحة تامة، حتى والدته مش مسموح لها تدخل له.

ـ يعنى مفيش قلق يا دكتور؟

ـ اطمنى، هو هيحتاج دعم كبير بعد ما يخرج من هنا، دعم نفسى ومعنوى، لازم تكونى معاه، هو حكى لى عنك كتير، مش إنت ليال؟

ـ أيوه..

***

مكث على عشرة أيام بالمستشفى، لم يسمح طبيبه المعالج بخروجه قبل ذلك، رغم تأكيد دكتور شريف أن حالته ليست خطيرة، انتظرته فى المقهى فى العاشرة صباحًا كى نأخذ قهوتنا الصباحية معًا، وصلت قبله، أحضرت له كعكة صغيرة بمناسبة خروجه من المستشفى.. ثُم رأيته

يأتى من بعيد، تغيرت ملامحه بعض الشيء، فقد الكثير من الوزن وقام ببعض التغييرات فى شكله، جلس أمامى وابتسم نصف ابتسامة ثم قال:

ـ وحشتينى..

ـ وانت كمان، شكلك أحلى لمّا حلقت شعرك.

ابتسم، ثُم قال:

ـ عايزك ترشّحي لى كتاب حلو، محتاجه الفترة دى.

ـ حاضر.

ـ وحشتنى قعدتنا عند البحر، ماواحشتكيش؟

ـ جدا.

ـ طيب يلا الويك اند اللى جاى؟ يسر كمان كانت نفسها تروح الغردقة تانى.

ـ اتفقنا.

ـ هنحجز نفس الكرسيين؟

(8)

"الشخصية القوية مش بالأوامر وفرض الآراء على الطرف التاني وخلاص، اللى بيعمل كده بيبقى ضعيف وبيعمل منظر مش أكتر، الشخص القوى هو اللى يدعمِك ويشجعِك إنك تاخدى خطوة لقُدام، وهو اللى نبرة صوته ماتعلاش عشان كلمته تتنفذ، وهو اللى عارف إن حياتِك مش ناقصة ضغوطات ونكد، حياتِك ناقصة دعم، اهتمام، كلمة لطيفة، ضحك..".

ليال زهران

فى وقت ما، فى مكان بعينه، ستلتقى بمن كان مقدّرًا لك أن تتحدث معه دون تفكير فيما قد يحدث بعد البوح.

قمنا بحجز المقعدين ذاتهما اللذين شهدا لقائنا الأول، وكانت يسر تجلس فى مقعد آخر بجانب صديقتها رؤى، اتفقنا أنا وعلى أن نتبادل كتابين، نقوم بقراءتهما طوال الطريق، ثُم نتناقش فى تفاصيلهما عندما نصل، أعطيته The Notebook لأنه لم يشاهد الفيلم، فوددت أن يقرأه أولًا، وأعطانى "يوتوبيا" للدكتور أحمد خالد توفيق رحمه الله، قاطعتنا يسر التى أتت مهرولة قائلة فى فزع:

ـ موبايلى وقع على الأرض، جبته لقيت تحت الكرسى..

ثُم أخرجت صورة لأبوتريكة، وتى شيرت الأهلى موقع من الخطيب بنفسه. تعشق يسر النادى الأهلى وخاصة أبوتريكة، ولكن الدهشة تكمن فى وجود تلك الأشياء تحت مقعدها هى بالأخص، ولم يكن هناك أحد تعرفه معنا سوى أنا وعلى ورؤى، لدرجة أنها شكت أننا من نفعل ذلك ونبتاع لها أشياءها المفضلة، لكننا كنا نقسم أننا لم نفعل، فمن الذى يفعل ذلك بها؟

كادت يسر أن تجن، شيء غريب يحدث، بدأت تشعر بالخوف لكل تلك الأشياء التى تحدث لها..

وصلنا، وما إن رأت يسر البحرحتى تناست أمر الهدايا وهرولت إلى غرفتها كى تقوم بتغيير ملابسها وتذهب إلى البحر.

أخذت أغراضى وذهبت لأجلس أمام البحر، شاركنى على، ثم تحادثنا فى الكتب التى قرأناها، ثُم كعادته ذهب إلى غرفته كى يعد لنا القهوة التى لا أحد يصنعها مثله.

هنا أتت يُسر، قالت فى حيرة:

ـ أنا باجد هاموت وأعرف مين اللى بيبعت الحاجات دى.

ـ رغم إن فكرة إن معتز يكون هو اللى بيبعتهم مش ألطف حاجة فى الدنيا، بس برضه كنا ارتاحنا، الحمد لله إن ربنا نجانا منه، تخيلى كان حد مننا ارتبط بمعتز.

ـ يعنى إنت مش زعلانة يا ليال؟

ـ هازعل ليه يا بنتى؟ أهم حاجة صداقتنا أنا وإنتِ، وأنا مابقتش أحبه خلاص.

ـ أه منا واخدة بالى.

قالتها وهى تبتسم ابتسامة تقصد بها ما بينى أنا وعلىّ، تركتنى وذهبت هى لتبحث عمّن يفعل ذلك كله، فهى متيقنة أنه يلاحقها فى كل مكان وأنه قد لحق بنا إلى الغردقة.

تأخر علىّ بعض الشيء، فقلقت لتأخيره فصعدت إلى الغُرف، وجدت باب غرفته مفتوحًا على اتساعه، قُلت فى قلق:

ـ علىّ؟ إنت هنا؟

لم يجبنى، فدخلت وجدت ورقًا مبعثرًا، أمسكته وقرأت ما فيه، فى البداية لم أفهم شيئًا، لكن بعد ذلك حاولت استجماع ما فيهم، كانت أشعّات وتحاليل تقول إن عليًّا مصاب بسرطان فى الدم!

هنا فهمت كل شيء، فهمت ما بعلىّ، فهمت سبب مكوثه بالمستشفى، وسبب تعبه المفاجئ، وسبب ملابسه التى كانت تُغطّى آثار الكيماوى على جسده، دخل على الغرفة ووجهه غارق فى البكاء، كان يتحدث فى الهاتف مع طبيبه المعالج، نظر لى وبأعلى صوت عنده قال:

ـ انت بتعملى إيه هنا؟ اطلعى برّة، سيبينى لوحدى!

***

خُذلت مرّات عدة، تم خداعى والتلاعب بى كثيرا، لكن تلك المرّة أعلم أنها رغم إرادته، كل كلمة قالها على كانت من خوفه ورُعبه، كل حرف فيه غضب كان يحمل نداءً خفيًا كى ينجده أحدهم من السرطان الذى يتغذى على جسده يومًا بعد يوم.

لزمتُ الصمت لبعض دقائق، تركته يخرج كل ما بداخله، ظل يصرخ إلى أن خارت قواه وسقط بين ذراعىّ.

ظللنا نبكى معًا، يشكو وأسمعه، يصرخ أكثر فأضمه بقوة، فجأة نهض، ظل يكشف عن آثار الكيماوى فى جسده، ألم يلازمه منذ عشرة سنوات، هكذا قال باكيًا

ـ ليه يا ليال، ليه يجرى لى كل ده؟

ـ عشان ربنا بيحبك يا علىّ.

ـ بس ده ابتلاء صعب قوى.

ـ ربنا قال فى كتابه العزيز: "لا يُكلِف الله نفسًا إلّا وسعها". وده معناه إنك أقوى بكتير من المرض

كان متوترًا للغاية، ذهب ليتوضأ ثُم أقام الصلاة، سجد وظل يبكى وهو يعلم أنه لن يسانده غير الله، انتهى من الصلاة ثُم نظر لى وقال:

ـ أنا باحبك يا ليال.

لم أكن أتوقع مطلقًا أن يعترف لى بحبه فى مثل هذا الوقت الحرج، صمتت، ليردف قائلا:

ـ مافيش فى العمر وقت عشان أضيعه، ريهام مراتى الأولى سابتنى عشان خبيت عليها وبعدين لما عرفت ما قدرتش تشيل كل ده لوحدها.. مستعدة يا ليال تكونى معاى فى ظروفى دى؟

ـ مُستعدة، مُستعدة يا على!

***

استيقظتُ فى صباح اليوم التالى، لأجد أمى بجانبى، تمسح بحنان على شعرى..

ـ ماما؟ انتِ جيتِ امتى؟

ـ وحشتينى..

نظرتُ أمامى لأجد ثوب زفاف مُعلقًا أمامى، نظرتُ لها فى اندهاش، هزّت رأسها بالإيجاب، ثم أردفت قائلة:

ـ هتبقي أجمل عروسة يا ليال

نظرتُ لها بعدم فهم، أكملت قائلة:

ـ على طلبك منّى وأنا وافقت، ولا ليكِ رأى تانى؟

ذهبت لأغسل وجهى وغيرت ملابسى، واتجهت إلى غرفة على، وجدت الباب مفتوحًا ومعه أصدقاؤنا المقربون وعائلته الصغيرة، والمأذون!

نظر لى وقال:

ـ مافيش وقت نضيعه..

***

دوما ما ترافقنا أحلام الطفولة والصِّبا إلى آخر يوم فى عمرنا، وكما حلمتُ، اليوم حفل زفافى فى أجمل مناطق العالم، الغردقة، ملكة البحر الأحمر، وما أنا إلّا أميرة مقارنة بجمالها، اليوم تحقق حلمى وأصبحت حورية بحر، زفافا هادئ مكون من الأقارب والأصدقاء المقرّبين، ثوبى بسيط للغاية، يقف عند الركبتين من أمام، وطويل من الخلف، صففتُ شعرى لنفسى، ووضعت لى أمى مساحيق التجميل، تشبثت بيد علىّ الذى كاد أن يطير من فرحته، الكل التف حولنا فى فرحة عارمة، خرجنا من باب الفندق متجهين نحو البحر، وفى الخلفية أغنية فريقى المفضل "Play Cold"

Cause you're sky cause you're a sky full of stars
I'm gonna give you my heart
Cause you're sky cause you're a sky full of stars
Cause you light up the path

صفق الجميع فى حرارة، قبض علىّ على يدى بحنان، قبلنى على جبهتى، هنا ألبسنى ألبسنى الـ"شبكة"، عقدًا ذهبيًا ينافس فى جماله أجمل بنات العالم، ثم أخرج علبة أخرى، فتحها ثُم قال فى ألم:

ـ دى كانت أول مرّة شعرى يقع فيها من الكيماوى..

ـ ايه ده يا علىّ؟

ـ افتحيها لمّا نروّح.

ضمنى بقوة، هنا بدأت أغنية "معاك قلبى" لعمرو دياب، أخذنى علىّ واتجهنا إلى الساحة لنرقص.

ظللنا نرقص ونغنى من مغرب اليوم إلى قبل المشرق بقليل.

ذهب الجميع وتركونا أنا وعلىّ أمام البحر، نمتُ على كتفه وظللنا نتحدث:

ـ أنا حاسة إنى باحلم.

ـ أنا دايمًا معاكِ، سواء نايمة وبتحلمى أو وانتِ مفتحة عينك.

ـ بس ده أجمل حلم حلمته، عارف، أنا عمرى ما حلمت بحاجة واتحققت غير معاك.

ـ زى إيه؟

ـ زى المناقشة ونجاحى فيها، نجاح مقالاتى الأسبوعية وعدد قُرّائها اللى زاد، من وأنا طفلة نفسى أبقى زى Little mermaid وحسيت ده النهارده لما عملت فرحى على البحر..

ـ بس كده؟

قالها مستنكرا:

ـ وانت يا عليّ، انت الحلم اللى اتحول لحقيقة فى يوم وليلة..

ظللنا نتحدث إلى أن أشرقت الشمس، ثُم ارتحت على كتفه وذهبت فى نوم عميق كأننى أول مرة أشعر بتلك الراحة.

حلمتُ أننى أعوم فى البحر، ليس على السطح كما يفعل البشرِيّون، لا، بل كنت أعوم فى أعماق البحر، نظرت إلى قدمى وجدتهما قد تحولا إلى زعانف، ها أنا حورية البحر ذات الشعر الأحمر الطويل وزعانف الأسماك، ظللتُ أبحث عن عليّ ولكن لم أجده، نظرتُ هنا وهناك، أخيرا وجدته، كان له قدمان عاديتان، بشرىّ كما هو، وما هذا؟ إنه يغرق، حاولت أن أنقذه وهنا استيقظت، نظرت لعليّ، وجدته نائمًا، مسحت على رأسه وقلت فى حنان:

ـ بقى لنا كتير هنا، مش هنطلع؟

لم يجبنى، هززته، وتساءلتُ:

ـ مالك يا عليّ؟

ـ ...

ـ فيه إيه!

سقط بين أحضانى، سقط وسقطت معه أحلامى، ذهب على وذهبت معه كل أمنية تمنيت أن تتحول إلى واقع وأنا بجانبه، تركنى قبل أن يكون معى، تركنى بعد فوات بضع ساعات على زفافنا، تركنى وترك طفلنا الذى لم ننجبه بعد.

ـ علىّ قوم يا علىّ.

لا إجابة، صمت تام، وفى آخر مرّة سمعت فيها صوته قال لى: "أحبك، إلى الأبد، وإلى اللا منتهى".

وقد انتهى كل شيء قبل أن نبدأه!

*****

(9)

لماذا يرحل الطيبون سريعًا؟ لماذا يختفون فى لمح البصر؟ لماذا يذهبون إلى عالم آخر ولا نستطع نحن أيضا أن نذهب إلى نفس هذا العالم؟

أن تودع شخصا إلى الأبد، هذا ألم أبعد من كل الأوصاف، كيف لكل هذا الألم أن يحمله قلبى أنا وحدى؟ فهو ألم لو تم توزيعه على كافة سكان الأرض لكفّاهم بل وزاد.

فتحت الصندوق الذى أعطانى إياه علىّ، كانت صورا له فى المستشفى بعد أولى جلسات الكيماوى، ومعها جزءًا من شعره، أعطانى إياها، كى أتذكره دائمًا وأبدًا، بكيت، عروس تبكى زوجها بعد بضعة أيام من زفافهم..

أتتنى مكالمة هاتفية من الخارج، أجبتُ فى لا مبالاة:

ـ ألو؟

ـ لمّا النسيم بيعدّى على شعرك حبيبتى باسمعه.

ـ رامى!

بكيتُ، أفتقده كثيرا، أفتقد صديق الطفولة ورفيق العمر..

ـ وحشتنى يا رامى.

ـ ماكنش ينفع أفضل معاكِ وأنا متأكد إنك عمرك ماحبتينى يا ليال..

ـ لا أنا باحبك، انت بالنسبة لى أكبر من فكرة الحبيب، إنت الصديق الحقيقى اللى أى حد يتمناه يا رامى.

ـ أنا فى ضهرك على طول، البقاء لله يا حبيبتى.

ـ ونعم بالله..

ـ مش هاطول عليكِ، بس عايزك تعرفى إنك فى بالى طول الوقت، وهآجي لك قريب جدا إن شاء الله.

***

طرقت بابى امرأة فى مقتبل عمرها لكنها تبدو منكسرة، بين يديها طفلة عمرها بين عامين وثلاث، فتحتُ، قالت فى هدوء:

ـ مدام ليال؟

ـ أيوه.

ـ هتستغربى كل كلمة هاقولها بس.. أنا ريهام، طليقة علىّ، الله يرحمه..

بكت وارتمت بين لأحضانى، سمحت لها بالدخول.

ـ كاريمان، بنت علىّ.

صُعقت:

ـ علىّ عنده بنت؟!

ـ هو ماكنش يعرف، أنا كنت عايزة أربيها بعيد عنه، خفت تتعلق بيه ويروح فجأة، وتتعب..

ـ إيه الأنانية وال..

قاطعتنى قائلة:

ـ أنا عارفة إن كان نفسك فى طفل من علىّ، بس للأسف ماالحقتيش، أنا هاحقق لك نص أمنيتك، أنا باموت، المرض اللى مااستحملتش علىّ عشانه.. جالى، وأنا مسافرة أمريكا، ويا عالم هارجع ولا لأ، مش هالاقى حد أسيبها عنده غيرك، عارفة إنك هتخلّى بالك منها..

مسحت دمعة هبطت من عينى، وافقتُ على الفور، طمأنتها أن ابنة علىّ هى قطعة منّى أنا الأخرى حتى لو لم أنجبها.

ودّعت ابنتها الوداع الأخير، ثم رحلَت فى هدوء.

نظرت للطفلة التى لم تكف عن البكاء لرحيل أمها، أخذتها بين

أحضانى، لا تشبه عليًا فى ملامحه، لكنها تحمل منه أشياء أجمل بكثير، تحمل رائحته ونظرته الحانية وحضنه الدافئ.

شعرها البُنى الناعم، صففته لها، أخذتها لكى تستحم، وضممتها إلى أن نامت.

ها أنا يا علىّ أضم قطعة منك، قطعة لم تكن تعلم بوجودها، كأنها هدية تركتها لى؛ كى أراك أمامى وقتما شئت.

***

كنت جالسة أنا وكاريمان فى النادى، ألاعبها محاولة تخطى كل ما مررنا به أنا وهى، قلت لها فى حنان:

ـ تيجى نحكى حدوتة؟

هزت رأسها بالإيجاب، أخذتها بين أحضانى، وبدأت فى سرد القصة، التى كانت بطلتها تُدعى كاريمان بالتأكيد، هنا أتى أحدهم وجلس معنا على المنضدة، قال فى تصنُّع:

ـ شبهك قوى.

رفعت بصرى لأجده هو.. محمد زهران، أبى!

ـ وحشتينى يا ليال..

ـ وحشتك؟ عشان كده بتسألى عليَّ كل يوم؟ عشان كده بتقّرب منّى؟ عشان كده عايش حياتك وسايبنى من وأنا طفلة؟

ـ أنا مش وحش، أنا بس.

قاطعته فى ضيق:

ـ إنت لمّا لاقتنى ناجحة وليًّا شخصية، جيت عشان تاخد كل حاجة على الجاهز، بس اللى أنا فيه ده كله من تعب وشقا ماما، نجاحى إنت ماساهمتش فيه ولو ب١٪.

ـ حرام عليكِ يا ليال، ليه كده يا بنتى، كلامك صعب قوى.

ـ وهو ماكانش حرام تسيبنى وأنا طفلة؟ تسيبنى وتروح تتجوز وتخلِّف، وتهتم بناس تانية غيرى وتنسى إنّك عندك بنت.

ـ والله كنت عايز آخدك.

ـ تاخدنى بالعافية مش كده؟

٢٠ عامًا مرت، كنت جالسة فى النادى مع عائلتى وعمرى ٦ سنوات، أتى أبى فجأة وشدّنى من يدي الصغيرة، قرر أن العنف هو الحل، رأى أنه بهذه الطريقة سيحرق قلب والدتى، لكنه حرق قلبى أنا قبل كل شيء، كل هذا مُخزّن فى الذاكرة، لم ولن أنساه..

ذكرني بشيء كتبته فى المجلة:

ـ مش إنتِ قُلتِ "وفى الخصام إذا تمسكنا بشعرَة من الأخلاق، ربما حافظنا على ما تبقي من وِد".

ـ هو اللى بينّا خِصام؟ احنا اللى بيننا سنين، سنين فيهم تعب ومذاكرة وسهر وعيا.. سنين فيهم مدارس وجامعات وحفلات نجاح، إنت كنت فين من كل ده؟

صمت، فأردفت:

ـ البنت اللى انت بتقول شبهى ديه مش بنتى أصلًا، بس واضح إنك كالعادة ماتعرفش عنى حاجة.

ثُم أخذت كاريمان وذهبنا بعيدًا، بعيدًا جدًا، وتلك كانت المرّة الأخيرة التى رأيت أبى فيها.

***

أردتُ أن أعود للعمل مرّة أُخرى، أفتقدته كثيرًا، وضعت صورة لعلىّ وصورة لكاريمان أمامى على المكتب، دخل سامر، ابتسم ابتسامة شوق وقال:

ـ المجلة كانت وحشة من غيرك يا ليال، الشغل هيساعدك صدقينى.

ـ افيش حاجة هتنسينى علىّ.

هبطت دمعة من عينى، قال فى حنان:

ـ انا جمبك وهنعدى المحنة دى سوا.. يلا عشان المؤتمر اللى جاى لازم تكونى معانا، بيتكلِّم عن القدرات، وإن كل إنسان فى الدنيا ليه قدراته المختلفة عن غيره، وإزاى نستثمر القدرات ده عشان نطلع حاجة مفيدة، معانا يا ليال؟

ـ معاكم، عليّ كان هيفرح بالموضوع ده جدًّا.

***

إلى الحياة التى دومًا تأخذنا بعيد عن أنفسنا الحقيقية، ثُم نسعى فى البحث عن ذاتنا مئات المرّات، إلى الحياة التى أخذت وأعطت، أخافت وطمأنت، ذُبنا فيكِ عشقًا وخوفًا فى آن.

موضوع المؤتمر الآتى هو العنف ضد المرأة، المؤتمر الذى كنت أنتظر أن أشارك فيه منذ طفولتى.

أعددت الموضوع جيدًأ، ثُم حادثت سامر وأخبرته أننى مستعدة.

***

أن تجد شخصًا واحدًا حقيقيًا تأتمنه على أخطائك السابقة، وخطواتك القادمة، وخفقاتك الحالية.. كأنما وجدت قطعة حُلى مرصعة بالألماس.

ذهبت يُسر إلى المقهى المعتاد، لتجد شخصًا غريبًا يأتى ويجلس أمامها على المنضدة.

ـ مين حضرتك؟

ـ أنا اللى بابعتلك كل الهدايا.

دُهشت يُسر، وقالت فى حيرة:

ـ انت مين وتعرفنى منين؟

ـ أنا دايمًا باقعد هنا فى الكافيه ومعجب بيكِ من زمان، وسمعت حاجات كتير من كلامك إنتِ وليال، أنا آسف، بس دى الطريقة الوحيدة اللى كنت هاعرف بيها الحاجات اللى بتحبيها وأجيبها لك..

صمت من جهة يسر، يكمل هو:

ـ أنا اسمى يونس، وحابب أتعرف عليك يا يسر، مش هاقول لك باحبك وكلام الأفلام ده عشان إحنا لسه مانعرفش بعض، بس أنا حاسس إنى هاحبك.. عارفة إن أنا كنت معاكم فى الغردقة؟

ـ أنهى مرّة فيهم؟

ـ الاتنين. يُسر أنا مش شايف غيرك، حاولت أتجاهل الموضوع بس كل مرّة كنت باشوفك هنا كنت بتشد ليكِ أكتر ..

الشيء الذى لم يكن يعرفه يونس هو أنه هو ذاك الشاب الذى لطالما تحدثت عنه يسر فى جلساتنا.. وأنها أيضا تبادله نفس الشعور..

ـ إنتِ عارفة إنى رحت فرح ليال وعلىّ الله يرحمه، دخلت فى الخفاء زى الحرامية عشان أشوفك يومها، كنتِ أجمل بنت فى المكان.

ضحكا، وقررت يُسر أن تعطيه وتعطى نفسها فرصة، قررت أن تخوض التجربة.

***

كل يوم يمر أصبح أكثر شوقًا لعلىّ الذى تركنى، استيقظتُ على صوت كاريمان تقول:

ـ عارفة يا ليال، كل الأطفال فى الحضانة عندهم بابا، بس أنا ما عنديش.

ـ لا يا حبيبتى إنتِ عندك، بس هو عند ربنا دلوقتى.

ـ فين؟

قالتها بعفوية الأطفال، أجبتها وأنا أمسح دمعتى:

ـ فى السما، كل اللى تحتاجيه هتلاقيه حواليكِ.

ـ طيب هو بابا شكله عامل ازاى؟

أخرجتُ لها صورة لعلىّ، ضممتها وقبلتها، ففعلت الصغيرة الشيء ذاته، ثُم قالت:

ـ ممكن آخد الصورة دى أوريها لأصحابى فى الحضانة؟

ـ طبعًا يا حبيبتى.

ـ عارفة، أنا باقول لاصحابى إنك ماما، أنا باحبك قوى يا ليال.

ـ وأنا كمان حبيبتى باحبك قوى.

***

ـ المرّة دى هتطلعى فى برنامج إذاعى .

قالها سامر، نظر لى فى تحدٍّ:

ـ قدها يا ليال، أنا واثق فيكِ كالعادة.

أتى معى لتسجيل الحلقة الأولى هو وكاريمان، كلمات كثيرة مبعثرة لا أعرف منبعها أو مصبها.

ـ ٣٢١.. هوا..

تتصاعد ضربات قلبى، تنحنحت وقلت فى ثقة لا أعلم من أين جاءت:

ـ مساء الخير عليكم مستمعينا، معاكم ليال زهران من برنامج "ما تحمله الليال.."

النهاردة هنتكلم عن الصدفة، الصدفة لعبت أدوار كتير فى حياتى.. ما أقدرش أعد... مرّة كنت راكبة تاكسى وفجأة الراجل جاله تليفون وفضل يخبط على الدريكسيون جامد ويزعق وقام معيط، افتكرت إن جاله خبر وحش بس لقيته عمال يقول: "أحمدك يا رب". وبعدين قال للى بيكلمها وغالبًا كانت حماته: "حضرتِك اللى تسمّيها" فهمت ان جاله طفلة وبعدين راح قايل لها: "فيه زبونة أول حد يركب معاى النهاردة ووشها حلو قوى علىَّ" وبعدين سألنى اسمك ايه؟ قُلت له: ليال، راح قال لها: "هاسميها ليال ياسر محمد". لسه فاكرة الاسم لحد دلوقتي رغم انه فات على الموقف اكتر من ٣ سنين، اتبسط من حاجة بسيطة جدا لما الطفلة اتسمّت على اسمى، خصوصا إن والدها كان فرحان بيها جدًا، فهمت منه بعدين انها جات بعد ٩ سنين نِفسه فى أطفال.. وقتها رُحت الجامعة باتنطط من الفرحة، وحكيت لكل زمايلى

على اللى حصل، موقف جميل، وباتمنى من ربنا إنه يجعل حظ ليال أجمل وأجمل.

***

نحن دائمًا أغراب عن بعضنا البعض، ولكن قليلين يتسللون بقلوبهم إلى قلوبنا، بحثًا عن الأمان، هُنا أدركتُ جيدًا سبب اختلافنا عن بعضنا البعض، هنا فهمت أننا حقا لا نختار أين سنولد وإلى من سننتمى، لأن هؤلاء الذين ننتمى إليهم مكتوبون قبل أن نولد، وإلى أن نلتقى مرّة أخرى مستمعينا، وإلى أن أراك يا علىّ، ليس هنا على الأرض، ولكن فى مكان أجمل فى السماء، فى جنة رب العالمين.

*****

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما. أمام جنينة مول. مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing